سيفار

ما كان وما سيكون

رواية :

سوسة ياسين

اهداء

الى سلامة ابتسام , الحلم قد أصبح حقيقة الآن

"عالم دون حزن " بعد ساعات طويلة من البحث والتفكيروصلت للاسم النهائي لمعزوفتي الجديدة ,رفعت قبضتي انتصارا ونزلت للطابق السفلي بعد الطرق القوي على الباب عند الساعة الثانية صباحا "من الذي يأتي في هذا الوقت " حدثت نفسي

لكن كل التساؤلات أجيبت عند فتحي للباب , لقد كانا شرطيان مدنيان بينهما فرق كبيرفي السن ,سألتهما الدخول لكن ظهرت عليهما ملامح القلق والحيرة فدفعت الباب بهدوء وألححت عليهما بالدخول فالمطربالخارج لم يسمح لي بسماع كلمة من التي يقولانها

ثلاث فناجين قهوة حُضرت في وسط انغمس في الصمت ,كسرت ذاك الهدوء بقولي بعد دقائق من الانتظار:

- ما سبب قدومكما المفاجئ في هذا الجو الممطر

رد علي الشريف قائلا بصوت غليظ :

- السيد "مروان جسري " ,هل هذا صحيح ؟

أومات مؤيدا فعاد لتصفح الأوراق التي كانت بيديه منذ مجيئه ثم أردف :

- كما يظهرفي هذه الأوراق التي أمامي فقد سافرت زوجتك "ايلين دوفال" و ابنتك "زمرد جسري" منذ أسبوعين إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبالتحديد إلى "نيويورك"

- نعم ,زوجتي لديها مجموعة جديدة من اللوحات الفنية كان يجب عليها عرضها في المعرض العالمي هذا الأسبوع وبما أن ابنتي كانت بعطلة فوددنا لو أنها ترفه عن نفسها قليلا

صمتتُ لهنيهة ثم أردفت والحيرة تملؤني :

- هل حدث لزوجتي مكروه حضرة الشرطي؟

حاول الشرطي الآخر الحديث لكن الشريف منعه ماسكا بركبته برفق ,ثم قال :

- لا يزال كل شيء غير مؤكد , تلقينا قبل ثلاث ساعات خبر حادثة سقوط طائرة أودت بعدد كبير من راكبيها بالموت والباقون في حالة حرجة جدا ... زوجتك و ابنتك كانتا على متن تلك الطائرة ولا نظن بأنهما قد نجيا

...نود منك الحضور معنا إلى المشرحة للتأكد من ... الجثتين

شهقت وشعرت بألم مفاجئ بقلبي ,عيناي الهادئتان أعلنتا عن الصدمة بتوسعهما بشكل مخيف أما أنفاسي فقد انقطعت لدرجةخروجي إلى وسط الطريق تحت الأمطار غير دار بالذي أفعله

بقدم عارية مشيت بتسارع لا أدرك وجهتي على الإطلاق , حتى أوقفتني حرقة صدري بعد ألم كبير لأجثو على الأرض مستعيدا أنفاسي فضربت صدري بقوة شديدة كي يزول الألم لكن دون فائدة .بقيت على ذاك الوضع لثوان حتى فاجئتني سيارة الشرطة التي اقتربت وصولا الي ثم توقفت ليرتجل منها الشرطي السابق مساعدا إياي للركوب بالسيارة

لم أستمع لحديث الشريف الذي يطلب مني البقاء هادئا مرارا وتكرارا أما الشرطي الآخر فقد كان مدركا لحالتي ومتفهما لوضعي المزري

"رجل في العقد الثالث يصبح أرمل وثاكل في ساعة واحدة " ذلك شيء يؤلم حقا

فور وصولنا للمستشفى ترجلت من السيارة راكضا ونزلت للمشرحة بنفسي لتقابلني ممرضة متعجبة بدت بأنها تعرفني فقالت لي بهدوء :

- يمكنك المجيء معي سيد مروان سأوصلك للمكان

ثم أومات للشرطي الذي لحق بي باحترام وهي تمسك بمرفقي في توتر وصولا لباب عريض كتب عليه بخط أحمر قاتم "المشرحة"

أخرجت المفتاح من جيب مئزرها الأزرق لتفتح الباب مؤدية بي لقاعة مملوءة بالأجساد المغطاة بأغطية بيضاء خفيفة وفوق كل غطاء مطبوع رقم باللون الأزرق القاتم ,كان الرقم المنشود لي هو 112 يليه 113 حيث كانا في آخر الصف الثاني في الجهة اليمنى ,جسد شخص بالغ وجسد صغير بجانب بعضهما البعض محترقان

اشتد الضغط على رأسي بشكل كبير و العالم من تحتي كان يهتز بشكل فظيع لكنني تمالكت نفسي وأومات للممرضة كي تنزع الغطاء ...تلك اللحظات والثو اني لرفع الغطاء في ذهني استمرت لسنوات الى حين انتزع الغطاء وحينها انتهى كل شيء ...

قبل 7 سنوات :

أدعى "مروان " أعيش في سويسرا ملامحي عربية عين كحيلة بنية كبيرة, يعلوها حاجب خفيف لوجه ذو بشرة قمحية اللون يتوسطه أنف متوسط وتحيطه لحية خفيفة ,هذه الصفات نابعة من أصولي الجزائرية المغاربية فقد كانت أمي منذ الطفولة تروي لي على عائلتها الجزائرية وعلى جمال الجزائر و طيبة أهلها اضافة الى تراثه العريق من الهقار الى "سيفار" التي عشقتها وتخيلت طول حياتي نفسي هناك أتفحص أسرارها و أتطلع مخافيها فكما قيل لي فهي ممنوعة بشكل تام ...

أنا الابن الوحيد لوالداي "حامد" و" فوزية" اللذان هاجرا من بلدهما الأم منذ زواجهما وتركا وراءهما عائلات مقهورة على هربهما والفضيحة التي تسببا فيها

منذ طفولتي كنت متعدد المواهب من أبرزها الكتابة والعزف على الكمان ,أهوى الكمان بشكل عظيم فألحانه تبعث الراحة والاحساس بالكمال في داخلي وكذلك الكتابة فأستطيع خلق عوالم ,كائنات و شخصيات عديدة بقلم وورقة فقط

تسميني أمي بالعم "مراد" فكما كنت موهوبا بالكتابة والعزف تجدني ماهرا في الطبخ أيضا , وهكذا هي حياتي أقضي أغلبها في تعلم أشياء جديدة

فعلتها وتخصصت في الفنون وأصدرت بعد 3 سنوات من أول عام لي بالجامعة أول معزوفة أصلية لي والتي أسميتها ب" دموع الخريف " تيمنا بوفاة والدي في خريف 1999 كان والدي من تلك الشخصيات الوقورة التي تخفي مشاعرها كليا لكنك تشعر بحبه وحنانه بشكل تام ...

لماذا أتحدث عنه أكثر من أمي...فهو قد كان كثير الغياب بسبب ظروف عمله التي تتطلب وجوده بالمكان ل18 ساعة كل يوم في الأسبوع ما عدا يوم السبت فكنت أراه فقط عندما أسهر لمنتصف الليل فأقابله لدقائق قبل أن أغط في نوم عميق...فليرحم الله روحه الطيبة

فعلتها مرة أخرى ونجحت أعزوفتي الاصلية الثالثة "همس " التي فتحت لي مجال الشهرة والغنا ...أضحيت مشهورا حقا وأملك أربع ألبومات اكتسحت الساحة الموسيقية . والجميع أصبح يعرفني باسم " عازف الحياة "

لم اؤمن يوما بالحب سوى الذي يحدث في القصص الخيالية التي أكتبها مع شخصيتين تعايشا لمدة طويلة لدرجة وقوعهما في الهيام ,لكن تلك النظرية تغيرت جذريا في حياتي سنة 2002 حيث كنت ذاهبا للصين لحفلة موسيقية أنا أحد اعلامها حيث شاركت في موسيقى تصويرية لمسلسل أمريكي اشتهر جدا في تلك السنوات

ببسمة بشوشة قابلتني احدى المعجبات في المعرض الذي يحوي لوحات وتحف خاصة بالمسلسل ,كانت ذات وجه حسن عينان عسليتان تنبضان بالحياة أنف صغير نمش قليل على وجنتيها وشعر أصفر مظفور بشكل جميل تلك كانت "ايلين" الفتاة التي غيرت أهم نظرية في حياتي

- لقد كنت رائعا هذا اليوم انه لشرف لي مقابلتك سيدي

هذا أول ما نطقت به بعد لحظات من التعجب ,فقلت باحترام و أنا متعجب قليلا من توتري المفاجئ :

- شكرا يا ...

- ايلين سيدي

ضحكت قائلا :

- لم يسمني أحد سيدي سوى ذاك الشاب الذي تظاهر بأنه متسول وسرقني

ضحكت باستغراب فقلت موضحا :

- يمكنك تسميتي "مروان "مباشرة يا "ايلين"

أدركت بعد دقائق من الحديث معها بأنها قد رسمت جميع اللوحات المعلقة هناك ,كانت مرسومة بتفاصيل تبهر العين حقا فلوهلة كنت قد ظننت بأنها مصورة بالكاميرا وتلك اللوحات ليست سوى "بوسترز"[1]

غصنا مع محاوراتنا لدرجة أنني لم أرد للامسية أن تنتهي .قلت لها و أنا أتطلع سماء الليل الصافية بعد خروجنا :

- هل تريدين شرب القهوة..أو الذهاب لمطعم معي ..في وقت لاحق

ابتسمت وقالت :

- نعم ,بالتأكيد

---

[1] الغلاف التشويقي الخاص بمسلسل أو فيلم ما

صمتتْ لهنيهة ثم أكملت وهي تخرج هاتفها المحمول عندما رن :

- سوف اجري اتصالا بشكل سريع..عذرا

أومات لها مو افقا وبقيت و اقفا مكاني بينما ابتعدت هي بخطوات ,لم أستطع ألا أسمع اتصالها كاملا فهي لم تبتعد سوى خطوتين :

- مرحبا سالي ..."أنت لن تصدقي الذي يحدث هنا "

- "أنا مع مروان جسري "

التفتت الي وامات لي باسمة بهدوء بينما كنت حابسا ضحكي ,ثم أكملت :

- " نعم انه فاتن جدا وتعملين الذي حدث أيضا ...اجلسي حتى لا تسقطي مغمى عليك "...." هل جلست "..."لقد طلب مني الذهاب في موعد"

- "أنا أقسم ...أتحدث معك لاحقا فمروان جسري بانتظاري منذ دقائق "

ببسمة قابلتني فور التفاتها وصافحتني مودعة فقلت لها وهي تتقدم للرصيف :

- كيف علمتي بأنه موعد ؟

توسعت عيناها خجلا فضحكت وقالت :

- أراك غدا...

دخلت السيارة و انطلقت بها بينما اتصلت أنا بالسائق كي يقلني ,لكنني ضربت بكفي على رأسي لشدة غبائي بعد أن تذكرت بأننا لم نتبادل أرقام الهو اتف.."يالني من غبي "قلت في نفسي ,لكن لحسن حظي فمعلوماتها كاملة كانت لدى فريق المتحف فور أن أخبرتهم باسمها أعطوني بطاقة معلوماتها اسمها الكامل "ايلين

دوفال " ولدت عام 1979 أي تصغرني بعام واحد بينما تظهر عليها ملامح فتاة مراهقة ...

ايلين

ايلين دوفال أبلغ من العمر 22 سنة أعيش في المدينة الر اقية "سويسرا " رسامة في الصغروفنانة في الشباب تعمل كمصممة شخصيات لشركة كرتون عملاقة

بينما أبيع اعمالي الفنية في معرض خاص بي, لست مشهورة جدا لكن أتلقى الاطراء كثيرا على أعمالي التي تبلغ الان 180 لوحة فنية

من الشخصيات التي ساهمت في نجاحي " مروان جسري " ذلك الشاب صاحب المعزوفات التي تجعلك تنهض وتنجز ابداعا في ثو اني فاستمعت لجميع معزوفاته وصارت هي الرفيق لي في الأحزان "عندما أبقى وحيدة في منزلي الكبير فلا عائلة لي سوى أخي الكبير الذي تزوج وسافر لاسبانيا منذ سنوات ولم تصلني رسالة منه يوما" أو في المسرات "عنما أتر اقص فرحا في البهو ألمح الربح الذي وصلت اليه والغرف الفارغة التي كلها ملكي "

اذا أخبرني شخص بأنني سوف أقابل مروان جسري يوما كنت سأضحك لساعات دون توقف لكن ياللقدر ها هو هناك يعزف أمامي لا تبعد بيني وبينه سوى مقاعد الجمهور...ذلك الشعور الذي ابتلى روحي فوردخوله للمنصة المملوءة بالعازفين المنتظرين له بشوق ليبدأ الحفل ,حمل عصا القوس بفخامة وبدأت أوتاركمانه بعزف الحياة لم تتوقف دموعي عن التساقط كل ذلك الحفل ..دموع الفرح بالتأكيد..أو الحزن ربما ,فقد كانت مجموعة من المشاعر الممزوجة من حزن وفرح وشوق ..

انتهى الحفل وخرج الجميع بمن فيهم مروان فهرعت لمقدمة القاعة لكي أنتظر خروجه بفارغ الصبر...يا الهي كم كانت تلك اللحظات طويلة على قلبي ذلك الانتظار الجميل المفعم بالرهبة والشوق

توقف العالم لساعة عندما كان أمامي هناك ينظرلي باسما منتظرا مني الحديث "إنه سبب نجاحي ...سبب استقلالي من عيشة الفقروعدم استسلامي عن الحلم الذي لطالما كان يتساقط مع كل مشكلة تطرأ في حياتي "

لقد كان رجلا لطيفا كما تبديه أعزوفاته البديعة تبادلنا الحديث من بداية الحفل لنهايته و انغمست في الحوار الشيق معه عن حياته وكيف وصل لتلك اللحظة التي كان فيها أمامي ..أما أنا قد حدثته عن سبب كون معزوفاته جزءا أساسيا في حياتي كلها , لكنني ضربت رأسي قهرا بعد ساعة من ذلك عندما وصلت لمنزل بعد رحلة طويلة من الخيال ...أردت الاتصال بمروان لكن مالذي حدث يا ترى ؟...نعم لشدة تسرعي قد نسيت أن أطلب منه رقمه أو حتى اعطائه رقمي

"ذكية يا ايلين ...ذكية "

جميلة لحظات الغضب تلك لتي قد تضحك عليها بشدة بعد سنوات وتقول "كم كنت غبيا حينها " هكذا آمنت بأنه سيحدث وهكذا حدث فبعد ساعة من تكسير أو اني المطبخ والصراخ بلغني اتصال من هاتفي الذي بحمد الله لم أكسره هو أيضا

- مرحبا ايلين

كان صوته هو ...مسحت بكفي شعري بحماقة وقلت :

- انه أنت ...آسفة لم أدرك سابقا بأنني لم أعطيك رقم هاتفي

صمتت لبرهة ثم أكملت مقاطعة كلمات كان سيلفظها :

- من أين وجدت رقم هاتفي ,هل لديك نفوذ لهاته الدرجة

ضحك وقال :

- من الادارة...

ضحكت بقوة و أنا أتخطى الزجاج الذي ملئ المطبخ ,و أكملت معه الحديث طول تلك السهرة ...

الحاضر :

مروان

تعرفت على الجثتين مباشرة الكثير من الجروح تملئ وجهيهما خاصة ابنتي البريئة التي غطت بسمتها التي اعتادت بأن تقابلني اياها الدماء الكثيرة

لقد كان ذلك اليوم باردا رغم دفئ الطقس ,عدت الى منزلي مغلقا الباب ورائي بعد مواساة العديد من الأصدقاء التي زادت الهم هما , في منتصف البهو استلقيت على الأرض الملساء المتجمدة يبدوا بأنها شعرت بالذي يحدث معي هي والمنزل الذي أصبح سوداويا فجأة واختفت ألوانه الزاهية .تذكرت قبل سنوات اليوم الأول الذي دخلنا فيه لهذا المنزل لم يكن هنالك أي أثاث فقط غرف فارغة مطلية جديدا نمنا على فراش خفيف في البهو حيث غطانا لحاف واحد بينما غنينا تلك الأغنية الجميلة حيث بقيت أدندنها وحيدا غائب عن الوعي تقريبا :

" ضحكة...مطر...بسمة طفل... هناك تتنفس الفرحة ...

مسدس...قنبلة ...دخان حرب ...تلك هي مشاعل الخطايا

هنا حيث سنبقى هنا حيث سنموت

لأن هذا هو منزلنا الوحيد "

هذا هو منزلنا...الوحيد

أصبح المنزل هادئا بعد انتهاء الجنازة مرت ثلاثة أسابيع الان لم يبق معي أحد سوى والدتي التي أرادت العيش معي ,آنست بقائها معي حقا ففي هاته الأحيان يحتاج المرء لأي وسيلة لانهاء البؤس والعودة للحياة لكن حياتي لن تعود للماضي ,الآن أصبحت حياتي تنقسم الى "عائلتي "و"مابعد انتهاء عائلتي"

ظلت أمي تسرد علي رو اياتها الجميلة وكأنني لازلت في سن السادسة أرتشف من كأس الشاي المعتاد ,وفي تلك الأيام عادت مخيلتي و أفكار"سيفار"الغريبة فتشجعت وقررت فعل شيء لم يفعله أحد في التاريخ

" سأعزف في سيفار"

بعد محاولات عديدة تمكنت شركة الانتاج الخاصة بي من جعل حلم العزف داخل "سيفار" حقيقة ,لكن بشرط ألا يكون جمهور فقط مجموعة من طاقم التصوير الذين سيغطون الحفلة التي أطلق عليها "الوداع ايلين"

كان شيئا غريبا كل تلك القصص التي سردتها علي أمي على وشك التحقق وسأرى بعيناي هاتين السر القابع وراء "سيفار"

ها أنا أتقدم وسط الصحراء الخالية من الحياة مملوءة بالصخور التي تعطي طابعا أثريا جميلا ,أتنهد بهدوء و أنا أرى كل شيء أمامي لكن رغم ذلك الفجوة التي بداخلي لم تلتئم ولم أستطع الاستمتاع بتلك اللحظات "لحظات حلم يتحقق"

أعلن المخرج عن بدء التصوير وكل المشاعر انسابت ليداي تركت شغفي يعبر عما باخلي من ألم ..

البداية

ما لم تلاحظه عين انس في الجهة الأخرى من الصحراء الخالية من الحياة بدأت تلك الصخور المحمرة تلمع ...زخارفها التي رسمت عليها منذ قرون و انتُزعت مع غبار الزمن بدأت في البروز مع كلمات ثلاث من اللغة القديمة

أم إبن إبنة

بهدوء غريب انتزعت تلك الزخارف المضيئة والكلمات وطفت في الهواء للحظات قبل أن تنفجر بقوة مصدرة رياحا قوية انتشرت في الأرض الملعونة التي لم تعد كذلك بعد الآن...

2: انتهى وقت النوم

بعد تلك الرياح العاتية انتهى التصوير وسط دموع فريق التصوير,كان احساسا غريبا امتلكني لحظة وقوع تلك الرياح ...شعرت بأنها تدخل جسدي لكن لم أعط لذلك اهمية كبيرة إلا بعد دقائق

مشيت بهدوء نحو الفراش لأنام تعبا بعدأربع ساعات سفر,ارتميت على السرير مغلقا عيناي

- لقد كان عزفك ر اقيا حقا ...

فتحت عيناي اللتان توسعتا فزعا ونهضت بسرعة لأفتح الضوء ...

تجمدت حواسي عندما ر أيت شيئا يقف في الزاوية

- باسم سيفار أمنحك الأمنيتين اللتان لا ثالث لهما ,قرر أنا بانتظارك

كائن ذو جسم مليء بالشعر الأسود قوامه قوام انسان لكنه ليس ببشر ويملك جناحين يبلغاني طولا ,عيناه كعينا الذئب عسليتان وعديم الفم كان حديثه يصدر من العدم ساقاه طويلتان وذراعه طويلة تنتهي بيد ذت مخالب حادة

قلت في نفسي " ما هذا الشيء بحق الجحيم"

- أستطيع سماعك ...أنا كيان

قلت بصوت مرتعد :

- ك..كيان ؟..

- يبدوا بأن هذا الحوار سيدوم طويلا ,لذا...

اختفى لبرهة ثم عاد في مكانه بشري بنفس الطول لكن دون جناحين ...ذو شعر بني طويل يصل الى أسفل كتفيه وملامح وسيمة ,يرتدي ملابس عتيقة جدا ,رمقني بهدوء وقال :

- والآن الازلت مرعوبا

بقيت صامتا لهنيهة ثم قلت :

- مالذي تريده مني ؟

- الأمنية الثانية

- مالذي تقصده ؟ ..أنا لست بساحر

تقدم لي بسرعة مخيفة بينما بقيت ساكنا محافظا على رباطة جأشي ,تقدم لوجهي رمقني وهو يشتم عنقي بشكل غريب ,ثم عاد وجلس على السرير وقال :

- أدعى كيان ...من ملوك السود ,لبيت خدمة بشرية قبل قرون تدعى "سيفار" التي جذبتني بسحرها..وأرغمتني على وضع تعويذة اذا تمكن شخص من انتزاعها أعطيه أمنيتين

صمت ثم قال :

- ستتعبني في الحديث معك أليس كذلك يا ذا الملابس الغريبة

- لم أفهم شيئا ...

- اطلب امنية وحسب يا رجل

نظرلي بصرامة وقال :

- أمنية واحدة فقط فأنا أحتاج الأخرى

- لم تحتاجها أليست من حقي ؟

- لسنا علاء الدين والمصباح السحري هنا يا رفيق ,أتفهم ؟

تنهدت محاولا اعادة الهدوء لصوتي المتعالي ثم أردفت "

- ما هي غايتك بالأمنية الثانية ؟ ماذا ستطلب من نفسك ؟

جلس على السرير بروية وقال :

- وهنا يأتي دورك في القصة يا عزيزي ,أنت ستطلب مني ما سأطلبه منك وتنتهي القصة بسلام

صمتت لهنيهة ثم قلت :

- أتستطيع...اعادة الموتى الى الحياة

قال وكأنه يحدث نفسه :

" أعزوفة جميلة لوالد احترق قلبه على فلذة كبده "

ثم أردف:

- ألديك ابن ؟

- كانت لدي ابنة ...وزوجة

تنهد تنهيدة طويلة ثم قال :

- لا أستطيع يا سيدي فلامنياتي حدود ولا أستطيع تحقيق كل شيء

تراجعت الى المرآة المقابلة للسرير وقلت بينما أجلس على الكرسي :

- وماذا سأحتاج من أمنياتك فلدي كل شيء ...

تمعنت بالمرآة وقلت بعد أن لم أجد انعكاس الكيان :

- لماذا لا أستطيع رؤيتك على المرآه هل انت من الجان

- لست جن كما قلت لك سابقا أنا من السود

- عجبا ...هل الجن حقيقة؟ !

ضحك من تعجبي وقال :

- يا سيدي أنت لا ترى سوى كائن من مليون كائن آخر لم تلمحه عيناك ,لو أنك كنت في عهد الملكة سيفار لرأيت العجب

رأيت بريقا في عينيه عند الحديث عن سيفار استدرت له وقلت بنما لازلت أخشى وجوده بالمكان :

- الآن فهمت معنى تسمية المنطقة بسيفار,لكن... لماذا لم تعرف ملكتك يوما فالتاريخ لم يتحدث يوما عن ملكة أطلق عليها هذا الاسم

- ذلك لأنها استلت قصتها من الزمن حاذفة نفسها من التاريخ

- ولم حدث ذلك ؟

- سيفار خسرت ابنيها الوحيدين في شهرين متتاليين والثاني هي من قتلته بيديها بالطبع لكن طباعها الطيبة تغلبت عليها فلم تستطع الاستمرار بعد ما سببته من عذاب ووفيات في مملكة يامن

صمت لبرهة ثم أردف :

- كانت كزهرة متفتحة وسط الثلج ذات روح نقية وقلب محب للجميع لكن للأسف ما حدث حول روحها الى سوداء ,ولذلك سأطلب منك امنيتك الثانية لتغيير الذي حدث ف...

قاطع حديثه طرق على باب الغرفة فاختفى معه فجأة .بعد دخول أمي التي قالت فور دخولها :

- بني هل أنت بخير؟ لمحت نور غرفتك مضاءا فتسائلت اذا راودتك احدى تلك الكوابيس

ابتسمت قائلا :

- لا ,أنا بخير فقط..لم أستطع النوم فقررت رؤية النجوم قليلا

ترقرقت عيناها فقالت :

- مثل الطفولة ...حتى عندما كنت رضيعا كنت تظل ترى النجوم عبر النافذة حتى تنام

تقدمت وقبلت جبيني محتضنة اياي وأردفت :

- سيكون كل شيء بخير يا حبيبي

انتهت الليلة ولم يعد ذلك الكيان مجددا وبقيت مسجونا داخل أفكاري وأضحك على تلك التخيلات الطفولية التي خلقتها لسيفار...يبدوا بأنها ملكة في النهاية ,كيف لها أن تفني منطقة شاسعة كتلك "هل حرقتها بسحرها"

- "حرقتها" مالذي تعنيه بذلك بحق الجحيم ,سيفارألقت تعويذة من التعاويذ الخاصة

التفتت فوجدته و اقفا وراء باب الشرفة يطرق الباب نظرت له بسخرية وقلت :

- تستطيع تحقيق الامنيات ولا تستطيع فتح باب شرفة

قال بينما كنت اتقدم للباب :

- لم أرد أن اخترقها دون احترام فأنت سيدي الآن حتى انتهاء الأمنيتين

فتحت الباب وأذنت له بالدخول ساخرا بينما رمقني هو بلؤم ,فقال فورجلوسه :

- سيفارلم تحرق مملكة يامن ..كان من الممكن أن تفلح التعويذة اذا كان هنالك شخص بمدى حزنك وبآلتك ذات الانغام الكئيبة تلك

- لماذا تدافع دائما عنها ؟ أهي سيدتك أيضا

نظرلي بغر ابة وقال :

- انها ملكتي وهذا واجبي

ثم صمت وتعلوا ملامحه نظرة الحسرة , لاحظت على معصمه رمزا غريبا نصف جناح أسود داخل مثلث رمادي .وددت لو أسئله عنه لكنني تجاهلت الأمر بعد مناداة أمي لي

تركته و نزلت نحو المطبخ آخذا فطوري من يد أمي الحبيبة وعدت له حاملا صينية الطعام ,انفرجت اساريره فوردخولي وقال :

- يالك من شخص محترم ..تقدم الفطورلواحد من السود

- ماذا ؟ أليس لديكم فطورأيها السود ,أم أنكم لا تاكلون طعام البشر

تقدم وحمل الكأس بشراهة ثم قال :

- معظم الأسياد يحتقروننا ويعتبروننا كائنات لا غاية لها

- ماذا عن سحركم ؟

- قصة طويلة أيها البشري ...قصة طويلة

أومات له وطلبت منه الأكل بينما خرجت انا نحو الاستوديو لمعرفة أخبار الأعزوفة الجديدة ,كان كل شيء جميلا بالخارج ففصل الربيع لم يبخل علينا بتساقط بتلات الورد جميلة لم أرد تضييع المشهد فبقيت و اقفا هناك تحت تلك الشجرة الضخمة لدقائق حتى فاجئني صوت بجانبي يقول :

" ويستطيع الورد محو ذكريات وجلب أماني "

كان الكيان بجانبي تفاجئت من وقوفه هكذا بشكله الغريب أمام الناس فابتعدت قليلا وحملت هاتفي متصنعا أنني أتحدث به فقلت :

- مالذي تفعله ؟ حرفيا ,مالذي تفعله ؟

- ارتاح لا يستطيعون رؤيتي على الاطلاق ,فقط في حالة لو أنني أردتهم أن يروني

تنهدت ثم قلت :

- لا تتحدث معي حتى الوصول الى المنزل فلدي عمل مهم

- أمرك يا سيدي ,أتريد تقصير الطريق عليك بأمنية ؟

ضحكت ساخرا وقلت :

- لا ,سأختار أمنيتي بروية فنحن لسنا علاء الدين ومصباحه السحري كما قلت سابقا

تمتم بكلمات غاضبا و أكمل طريقه معي في هدوء ,كانت غر ابته ترسم السعادة ببساطة في قلب أي شخص خاصة عند رؤيته للشارع الرئيسي المليئ بالأشخاص حيث قال :

- أنا لم أرى هذا الكم من البشر في مكان واحد منذ حرب قيصر

- قيصر؟

لم يرد علي فبسبب المشاهد العديدة بالمكان كان بالكاد يمشي ,قلت في نفسي و أنا أرى ملامحه المتعجبة

"ما قصتك مع سيفاريا كيان"

منتصف ليلة مارس

استيقظ مروان على صوت صراخ قوي ,كان كيان لم يقوى على البقاء في زمن غير زمنه لمدة طويلة ,فقال الأخير مستنجدا :

- أرجوك اخترامنية فحياة آلاف الأرواح تحت سيطرتك

فقال مروان بتردد أول شيء خطرعلى ذهنه :

- أريد الحصول على طابعة ورق وتحقق أمنيتك

أمسك كيان بيديه باسما وطفا بينما عاد الى شكله الطبيعي وشعره الذي يتطاير مع النسيم المنبعث من العدم ,فقال :

- شكرا جزيلا يا سيدي

طابعة الورق تجسدت لكن الكيان اختفى ولم يعد و انفجرزجاج المنزل من قوة الهواء ,تحققت الأمنية الأولى لكن ...

الكيان عاد بعدها مفزوعا...نظر بعينين متوسعة الى يداه وقال :

- انا لم أفلح...لم تنجح الأمنية سيدي...لم تنجح الأمنية

بقي مروان ينظر له بفزع وهو ينهار على الأرض حابسا دموعه وجسده بدأ يتقشر ويتحول الى فراغ شيئا فشيئا

وفي لحظة مفاجئة أمسك الكيان بذراع مروان وقال محدقا بعينيه :

"أنا أعتمد عليك"

ليختفي الاثنان من المكان ....

❄❄❄

قبل قرون عديدة :

مملكة النار

مروان

لم أفتح عيناي سوى عند زوال الضجيج المفاجئ لأجد نفسي ملقى على حقل شاسع ولا يوجد شيء سوى ملايين من سنابل القمح تملئ المكان رفعت عيناي لأرى السماء مشرقة على عكس الجو العاصف الذي كنت به قبل دقائق تلمست جيبي لعلي اجد هاتفي لكنني تفاجئت بشدة عند رؤيتي للملابس الغريبة التي كنت أرتديها ...انها كالتي كان يرتديها كيان

- ما هذا بحق الجحيم

هذا ما قلته عند رؤيتي لذراعاي البيضاء وتلمسي لشعري الذي أصبح طويلا ..وبصري الذي عاد الى قوته ,فتفاجئت أكثر بصراخ طفل علي :

- أيها الأسود مالذي تفعله في حقلنا أيها النجس

رفع مشط الأرض باتجاهي وأردف :

- أخرج من هنا والا سأرديك ميتا

- مالذي يحدث يا فتى ,أين أنا ؟

ارتفعه كم قميصه ليظهر رمزا رسم على معصمه ذو شكل غريب " وردة وسط النيران داخل دائرة " ,قدم أكثر الأداة لدرجة أن احدى اسنانها خدشت معصمي صرخت فيه متألما بصوت غير صوتي وركلته بغضب قائلا :

- احترم الكبار

بدأ الفتى يصرخ بصوت قوي جدا مما جعلني أهرب خشية أن اعتقل

" أين أنا ...مالذي يحدث ...أليس لهذا الحقل نهاية...لماذا جسدي مختلف بحق السماء "

كل تلك الأسئلة تراود ذهني و أنا أركض عبر حقل ذهبي لا نهاية له وبعض الرجال يطاردونني حاملين عدة الفلاحة ,حتى تحول كل شيء الى ظلام وسقطت مغمى علي ...

3 : عبير

فتحت عيني مفزوعا بعد لطشة مياه قوية واجهتني ,بعين نصف مفتوحة وألم يسري بجسدي وجدت أمامي فتاة رشيقة ترتدي فستانا أسود يصل لركبتيها ذات شعر أسود قصير, وجه حسن أسمر بعينان واسعتان ذات لون أخضر غريب

وبجانبها رجلان متجهما الوجه ضخما البنية

- وأخيرا استيقظ الأمير كيان ...هل طالت رحلتك يا عزيزي

- أنا لست كيان...أنا مروان

- هل غيرت اسمك

وقفت بريةو أنا ادقق في تفاصيل الكهف الذي كنت به ...كهف حجري ذو مساحة واسعة قليلا ..صوت قطرات مياه تتسلل الى سمعي بين الحينة والأخرى رائحة غريبة تشبه مزيجا بين الفحم والبخور,قلت :

- كيان قد توفي ...أقسم بأن ذلك حقيقة ,لا أعلم ما فعله لكنني أود اللقاء بالملكة سيفار في أقرب وقت

انفجرت بالضحك وكذلك الرجلان وقالت :

- أهكذا اذا ...تغيب لمدة 5 أشهر ثم تعود وتقول بأنك تود مقابلة ملكة

أغلظت صوتها وقالت بتباهي :

- وليست أي ملكة يا رجال ...أتسمعون ...انها سيفاروالدة يامن ملك مملكتنا

تقدمتُ بجرأة وقلت :

- اللعنة عليك وعلى أمثالك سأجدها وحدي

و أكملت في ممشيي لخارج الكهف حيث أصابتني بكلماتها قائلة :

- نعم ,ارحل مجددا كما رحل الجميع عني

بثقة عبرت مخرج الكهف الذي كان محميا بطبقة شفافة بر اقة قليلا غريبة من نوعها وكأن فقاعة صابون تسد كهفا

لم يكن هناك شيئا مميزا من ذلك المكان المرتفع سوى القليل مما تبين أنه قلعة بعيدة ذات قبب قرمزية اللون اما الباقي فلا يوجد سوى اللون الذهبي...

أكملت في مشيي وسط نظرات الفلاحين والنساء اللو اتي تخبئن أطفالهن فور رؤيتهم لي ,انتابني احساس من الغر ابة حول نفسي حينها لم أعلم كيف كانوا يميزونني عن باقي الناس فقد كان كيان ذا شكل بشري وأولئك الأشخاص الذين كنت معهم قد كانوا بتجسيد بشري بحت ...حتى تذكرت الرمز الذي في معصمي المختلف عن الجميع هنا

أسمع التهامس والسب من ورائي و أنا في حالة من الضياع والحيرة فلا أدرك ماذا سيحدث لي بعد دقائق او حتى ثو اني فكره هؤلاء الأشخاص للسود ظاهر في أعينهم التي اشتعلت شرارا لكنني كعادتي لا أهتم بنظرات الناس ولو كنت كيان ...

بعد دقائق من المشي وسط السنابل وصلت لنهايتها و انفرجت اساريري عند رؤيتي لمكان مليء بالأشخاص بدا كأنه سوق عربي قديم ...ر ائحة التو ابل الكثيرة

...نساء يمشين باحتشام يرتدين ملابس مميزة متكونة من وشاح يغطي رؤوسهن وآخر يغطي نصف الوجه وفستان طويل من الحرير ذو لون قرمزي براق تربطن خصورهن بحزام أبيض مزخرف ,كان عجيبا أمرهن فجميع النسوة ترتدي نفس الملابس لا يختلفن سوى بالطول أو شكل العينين

أما الرجال فقد كانوا يرتدون لباسا يتكون من قميص رمادي دون كم تغطيه سترة جليدة بنية ,سروال عريض مقدمته ممسوكة بحزام بني يحتوي على العديد من الجيوب ممختلفة الأشكال والأحجام

لم ألقى نفس نظرات الحقد في ذلك المكان فقد كان الجميع يمشي دون أن يرى الآخر وكأنني أمشي وسط قبائل متصارعة يود الواحد منهم أن يهجم على الآخر في أي ثانية ,لكن لم يكن ذلك هو الشيء الغريب الوحيد بالمكان فالشراء كان أغرب ,الجميع يحمل نردين البائع و المشتري حيث رأيت أنهم يرمون النرود وكلما كان عند المشتري أكثر كلما زادت الكمية التي يأخذها ,,فقلت في نفسي

" مالذي فعلته بي يا كيان "

وجدت رائحة طغت على جميع الروائح وهي رائحة الفحم المشتعل حيث كلماتقدمت تزداد الرائحة الى حين وصلت لمصدر الرائحة..

جبال عظيمة من الفحم يعمل بها أطفال يحملون جميعا رمز كيان ,فهمت حينها سبب تسمية السود عليهم ,تقدم لي أحد الأطفال بوجه متسخ ويد سوداء فحما فقال وهو يتفحصني من الأعلى الى الأسفل :

- مالذي تفعله هنا ؟

- هل تعرف كيان أيها الصبي

- نعم أعرفك أيها الأحمق , ومن لا يعرف كيان الأخ الأصغر لعبير ملكة السود

- هل لكيان أخت ؟ أين هي ؟...أين بامكاني ايجادها ؟

نظر لي بحيرة وقال :

- مالذي حدث لك في رحلتك الأخيرة يا رجل ؟ لماذا أصبحت غريب الأطوار؟

- هل يمكنك أخذي لسيفار فلدي خبر مهم يجب أن ابلغه اياها

أشرت للقلعة البعيدة وأردفت :

- أهي هناك في تلك القلعة

- لا ,تلك قلعة ابنها البكر ملك الجميع يامن ,لا تفكر حتى بالذهاب الى هناك

- ولم لا ,فيجب علي أن أنقذهم قبل فوات الأوان

توسعت عينا الفتى فجأة وعاد الى عمله صامتا ,حتى أحسست بيد غليظة تمسك بكتفاي بقوة فالتفت لأرى رجلا ضخما أصلع الرأس متجهم الوجه وبدون أن

ألفظ بكلمة وجدته يلكمني بلكمة أسقطتني أرضا آلمتني بشدة لدرجة أنني أحسست بارتجاف يسري بي الى الأرض...

لم أنهض بعدها الا و أنا مستلقي على سرير داخل غرفة صغيرة تحتوي على العديد من الافرشة والصوف ,حتى دخلت تلك الفتاة خضراء العين مجددا حاملة صحنا خشبيا وجلست على طرف السرير فبدأت الحديث مطاطاة الرأس :

- أنا آسفة ,كان يجب علي حمايتك لا تركك لوحدك في هذا الوقت الصعب ,لكن أنت ترى الحال التي وصلنا اليها يا كيان ... عهد والدنا لن يعود ويجب علينا المقاومة الآن

نهضت لونظرت لها بصدمة :

- أنت أخت كيان !

ربتت على شعري بلطف وقالت :

- نعم أنا أختك يا ابله ,ذكرني أين ذهبت في المرة الأخيرة

- أرجوك يجب عليك أن تستمعي الى حديثي فوالله لا أحكي سوى الصدق

- حدثني ها أنا أسمعك

حدثتها بقصتي بداية من مجيء كيان الى وصولي الى هذا المكان ,لكن كان يبدوا بأنها لم تصدق حديثي فقلت :

- اعطني طريقة أثبت لك بها

نهضت ووضعت الصحن بالأرض ,ثم قالت بعد تنهيدة طويلة :

- انهض !

نفذت امرها ونهضت بهدوء

لكنها صرعتني بخنجر اخترق كتفي ...صرخت متألماوسقطت على الأرض ودمائي انفجرت وملئت الأرض ...لم أرى سوى تلك الفتاة تصرخ صدمة وهي تطلب مني التوقف عن التنفس لثو اني

أخرجت من جيبها ورقة خضراء غريبة الشكل تبدوا بأنها اننتزعت من شجرة حديثا ووضعتها مكان الجرح

فتحت عيناي بعدها بثو اني و أنا ملقي على الأرض بنفس المكان مع برودة خنجر على رقبتي ,نظرت يمينا فوجدت نفس الفتاة تنظرلي بحيرة قائلة وهي تشد الخنجر لرقبتي :

- دماءك ليست سوداء , ماذا فعلت بكيان ؟...أين هو أخي ؟

- لقد مات وتركني أنا لتغيير مجرى الأمور

رفعت الخنجر بيد مرتعشة واستدارت ...لقد كانت تبكي ,يبدوا بأنها كانت تحب كيان رغم المشاكل التي كانت تحول بينهما ,كنت أسمع صوت نحيبها التي منعته بيدها فقمت وربتت على كتفها مواسيا ثم قلت :

- أنا آسف ,لم يرد أي منا حدوث هذا

التفتت الي بعين محمرة زادت من لمعان بؤبؤيها الخضراوين اللذان بدوا كأنهما قمر في سماء دون نجوم , ركلتني بقوة سقطت بها على الأرض ووأعادت توجيه الخنجر نحوي

,قالت ماسحة دموعها :

- ماهي الأمنية التي أدت لنهايته ,أهي فتاة أحبها...فالغبي كان يحب بشرية من قبائل بنو يزيد ...أهي السبب ؟ هل هي ايلول ؟

-,دعيني أشرح لك القصة منذ البداية وأرجوك اصغي الي دون ان تنبسي بحرف , ولكن أولا ...أبعدي عني هذا الخنجر...

حدثتها عن القصة التي أخبرني بها كيان في ليلة من الليالي :

" قبل قرون عديدة حيث طغى السحروأصبحت الممالك موحدة في عزوفخر هنالك من لم يكفه ذلك الملك "يامن" الذي أراد حكم مملكة "سيفار" أقوى ساحرة عرفتها الأرض ،فعلها الملك وقام باختطاف ابنة سيفار أخته "كارولين"في ليلة مظلمة ,مقابل أن تتخلى والدته عن قوتها العظيمة وتمنحها له وذلك يعني موتها المحتوم وفناء شعبها...
رغم حب الملكة العظيم لابنتها لم تستطع أن تضحي بحياة شعبها فاستغنت عن فلذة كبدها ونحر عنق الطفلة البريئة من شدة غضب أخيها الملك

واشتعلت نيران قلب "سيفار" فلعنت مملكته للأبد بلعنة لا تستطيع حلها سوى أعزوفة جميلة لوالد احترق قلبه على فلذة كبده ذاك الشخص سيسخر له ملك السود ويمنحه أمنيتين لا ثالث لهما إحداهما إذا أراد سيختار تحرير المملكة من اللعنة"

جمع الملك 10 رجال كانت قد ماتت بناتهم لكن ألحان البندير البسيطة لم تنفع و جفت مملكة يامن وشعبه مات جوعا بسبب الجفاف الشديد وعدم مو افقة أي مملكة على وجودهم خوفا من الملكة المرهبة وسميت تلك المملكة الفانية من يومها باسم "سيفار"

اصفروجهها فجأة وبدات تتمتم قائلة :

- ماذا فعلت بنا يا كيان ماذا فعلت

ثم أردفت بصوت مرتفع :

- سيفار لم يجد ملكا آخر ليلعب بعقله سوى أقوى خلق الأرض , لكن الأمنية...كيف فعلها !

نهضت مفزوعة وقالت ماسحة العرق عن جبينها :

- حتى لو استطعنا محادثة سيفار,لن نتمكن من مراوغة يامن ,انه لملك خبيث جبروت سيعدمنا في ساحة الالف مرآه ونصبح رمادا يتناثر ,وسيغني الشعب بقصتنا لسنوات

- اتركي الأمر لي فقط خذيني لمملكة سيفاروسأحل اللعنة بنفسي

ضحكت بهدوء وسخرية فقالت :

- اتدرك ماذا سيقابلك في الطريق أستستطيع التغلب على "نيريدات بحر شمس" ام هل ستفوق سرعة "النسناس " ,أستستطيع اغلاق عينك عند رؤية "السعلوة"

- ما هاته الأسماء الغريبة ؟

ضحكت ثم قالت :

- يالكيان ,يرسل شخصا لا يعرف أعسر الكائنات ليخوض مجازرهم ,لا يا عزيزي لا أظن بأنك ستذهب

- لقد كانت أمنية أخيك الأخيرة التي من شدة اهتمامه بها هلك ,أهكذا حب الاخوة عندكم يا سود

- تاتي انت لتخبرني عن حب الاخوة ,أنت لم ترى الذي قاسيته من أجل ذلك الشاب حيث لم يفعل هو شيئا من أجلي سوى قبلة الوداع التي يتركها على جبيني في كل مرة يختفي فيها

رمت بالصحن على الأرض لينكسر , صمتت لدقائق ثم جلست قائلة :

- سماك الله باسم "مروان" ,أهذا صحيح؟

- نعم ,يا ...

-عبير أدعى عبير بنت شمس احدى ملوك السود

نظرت لكتفي ثم أردفت بعد صمت طويل :

- أتحسنت كتفك ,آسفة كانت تلك الطريقة الوحيدة لمعرفة ماهيتك فنحن السود دمنا اسود واذا ابتلى جن أو عفريت جسدنا يتغير اللون الى الابيض أو الى الأحمر القاتم في حالتك أنت

- نعم لقد زال الجرح ,كيف فعلت ذلك ؟

- لقد كانت تلك ورقة من شجرة الحياة ,اقتطعتها من بيت الرستفاريين ,تستطيع نزع الجروح و انقاذ الحياة بسرعة

- ألف ليلة وليلة...

- مالذي تقصده ؟

ضحكت ثم قلت :

- تلك الشجرة ...لقد قرات قصة عنها في كتاب يدعى "الف ليلة وليلة "

- من المستحسن الا تقرا كتابا في هذا الجسد ,فالسود يمنع عنهم القراءة واذا فعلوا سيحرقون في الساحة

- ياله من قانون غريب

عم الصمت المكان فأكملت :

- هل أنتما توامان ؟ ...أنت وكيان

قالت باسمة مرقرقة العين :

- لا , هو أخي الأصغر

أردفت بعد أن حل الصمت مجددا :

- أنا اريد الذهاب لسيفار حقا فنهاية كابوسي ستنتهي هناك

- أنا اعرف فتاة ...نيران ,تعمل لدى كارولين ابنة سيفار ربما ستساعدنا لانها من السود لكن...

- لكن ماذا ؟

- أنا قد أعدمت ابنها ذو العشر سنوات..

رمقتها بصدمة وقلت :

- بدون رحمة اعدمت طفلا صغيرا !, ما أنت !

قالت مطأطأة الرأس :

- لو لم أفعل ذلك كنت أنا لأعدم فقد فر من الجبل الأسود

- الجبل الأسود ؟

- جبال الفحم تلك التي التقطتك منها سابقا, يتوجب على كل أسود أن يسلم ابنه ليعمل هنالك غصبا عنه ولا يراه حتى ينهي عقديه الأولين

- انتم تسلمون اطفالكم للعبودية , بكل تلك السهولة ولديكم قوى ساحرة تستطيع تدمير العالم

ضحكت بسخرية وقالت :

- لقد اخذت قوانا يا أخي ,ملكنا لم يرحمنا في معركة زوال السود ...لم نعد نملك حتى القدرة على التحول لشكلنا الأصلي ,حتى غاية وجودنا "تحقيق الامنيات "انتزعت منا"

- اذن كيف فعل كيان كل ذلك ؟

نظرت لي باستغراب فاردفت :

- لا عليك ...

فقالت وهي تغلق الباب الخشبي العتيق :

- أنا سآخذك لسيفار عبر هذه الرحلة المستحيلة ,لكنني سأحتاج لصديقك سيف ..رغم أنني لا أود الذهاب اليه مطلقا...

- صديقي أنا ؟ سيف ..

- صديق كيان ,سنذهب له مساءا عند مغيب الشمس تملقه بحديث كيان الدائم وأجبره بحلاوة لسانك على الذهاب معنا ,فانا لن اقوى على مجابهة "النيريدات" لوحدي يا رفيق...

غيرت ملابسي الى ملابس اخرى بنفس الشكل واللون زيد عليها رداء ذو قلنسوة اعطتني اياه عبير ,عبرنا العديد من الشوارع وصولا الى ساحة ضخمة علقت على جدرانها مئات من المر ايا وأرضيتها تبعث حرارة على بعد كبير , على احدى جدرانها علق رجل ازرق جسده الهزيل , فقالت عبير:

- هذه هي ساحة الالف مرآه حيث يعدم الخونة والمجرمون

أكملنا في طريقنا إلى ان توقفت عبيرعن المشي فعرفت انه البيت المنشود ,كان بيت عاديا كجميع بيوت هذه المملكة لكنه اقل بناءا ,دقدقت على الباب بقوة فخرج لي رجل يساويني طولا ذو جسد رياضي بحت ,عديم الشعرواسمر البشرة ذو عينين كحيلتين بنيتين و انف كبير ووجنتان ممتلئتان ,فوررؤيته لي ابتهجت اساريره واحتضنني بقوة شديدة ,فقال و انا في حيرة من امري :

- لقد طال الشوق يا اخي

- كيف حالك يا صديقي ,لقد طال الشوق حقا

- لقد خلتك ميتا وعودتك لن تحصل بدا

أعاد احتضاني وقال بحيرة :

- اتلك عبير ؟...

تقدمت الاخيرة بهدوء وقالت بينما صافحا بعضهما البعض بطريقة صارمة :

- الحمدلله انك حي يابن خالتي

- سمعت بانك قُتلتِ لكنني اراك حية ترزقين يابنة شمس

كانت شرارات الغضب والحقد تحوم بينهما بينما علت على وجوههما بسمة دافئة فقلت :

- يا اخي أنا احتاج جسدك المتناسق هذا ,وارجوا الا تخيبني

- اطلب يا كيان فوجودك عندي يستحق الف طلب

- احتاج للذهاب لسيفار

نظرلي بتعجب وقال مداعبا :

- هل عشقت أنت ايضا بجمال "كارولين "ابنة النور

صمت لبرهة ثم قال :

- هيا فلنذهب فقد طردت الصباح من عند سيدي على كل حال

ردت عليه عبير بسخرية :

- أخيرا شعر سيدك بثقلك و صرامتك ,أنا حقا متعجبة كيف أنه تحملك لعامين كاملين

رمقها بلؤم وتنهد قائلا :

- من لم تفده عبراً أيّامه كان العمى أولى به من الهدى

ثم أردف مخاطبا اياي :

- أكان يجب احضارها معك ؟

- نعم فالرحلة ليست ببسيطة واحتاج لكليكما ,لذا يكفينا شجارا لقد آلمني رأسي من نزاعاتكما هذه كالأطفال ...

التفتت الى عبيروقلت بصوت حازم :

- أليس كذلك يا أختاه ؟

فاومات لي مو افقة مطاطاة الراس ,والتفت للآخر فوجدته صامتا عيناه تلمعان وهو يقول :

- علينا الوصول الى هناك قبل مغيب الشمس

بقي سيف يحدثني طوال الطريق على ذكرياته مع كيان وظللت أضحك معه دون فهم شيء من الذي يحدث معي , قال فجأة :

- هاهناك بحيرة شمس ...كم اشتقت لنسيمها

تأملت المكان امامي فلم أجد شيئا سوى الأشجار العالية التي تتقدمنا ,فقالت عبير عند رؤيتها لحيرتي :

- تلك ميزته ,يستطيع رؤية بعيد المدى

نظر لي باستغراب ولم يقل حرفا وعاد لانبهاره بما يشاهد

قلت بهدوء :

- أسيسمحون لنا بالخروج من المملكة يا اختاه ؟

- لا أحد يحرس البحيرة فالملك توجس على جنوده عشق النيريدات

نظرت لها بحيرة قائلا :

- لماذا تعيدين كلمة "نيريدات" في كل مرة تذكرين هذه الرحلة ,أوحش هي ؟

وسعت عيناها محذرة من سيف وقالت ضاحكة :

- أنسيت يا أخي أسطورة النيريدات ؟ ..تلك النسوة بديعات الجمال يقتنصون التجار بجمالهن ليصبحوا وليمة لهن ,ذوات جسد علوي لبشرية لكن الاسفل فحراشف سمكة

- حورية بحر...

قالت بصوت محذر:

- أحذركما ,لا تلقيا بانظاركما على المياه في أي حين ولو رأيتما شيئا يهتز مع ماء اليم اخبراني

رد عليها سيف بطريقته المستفزة :

- حسنا أماه ,سوف أفعل انا اعدك...

كانت علاقتهما غريبة جدا ففي حين اذا رأيت نظرات اعينهم أحسست بأنهم يكمنان حبا جما...

4 : نيريد

عبير

عبير بنت شمس ملك السود و اقليم الجنوب الكامل ,عشت طفولتي خارج جدران قصري على عكس الأميرات الأخريات اللو اتي يستحين أن يطرن أو يلعبن شيئا من سحرهن ...

لم أكن أدعى بالأميرة ... "فهد الشمال " هذا ما كان يطلق علي من طرف عائلتي كبيرهم وصغيرهم فسرعتي شديدة ومهارتي في الطيران مبهرة

عائلتي تتكون من والدي الملك " شمس" والدتي "حرير" واخوتي السبعة ,صلاح وسميرة ,هند وبراعم ,حرير الصغيرة وسفيان ...و أخي الصغير كيان

لازلت أذكر بعض ملامحهم للآن خصوصا والدتي ,فخلال الحرب لم يبقى لي شخص سوى أخي كيان

كنت في سن ال16 حين استقبلنا رسالة "سيفار" تدعونا للحرب ضد ابنها امرا منها لاننا كنا موالين لها خوفا ,الاف السود ذهبوا ولم يعد منهم سوى واحد أعلن استسلامه و ابقوه حيا ليخبر قصة انهزام السود التاريخية

الليلة السابعة من شهر يوليو "ليلة انعدام النسل" كنت أقرا كتابي لانتفض فزعا بعد أول ضربة ضربت القصر وجريت كالمجنونة بعد ان بدأت المح تشققات بدأت تتدفق بالسقف الذي انهار فور خروجي ,"نيران ...صراخ ...حطام "لم أرى شيئا سواهم والخدم الذين يهرعون للخارج أما افراد عائلتي فغرفهم كانت حطام

منثورا ...جريت والدموع تملأ عيني و أنا أتخطى الجثث التي اكتست سلالم الطابق الر ابع حيث حطمت ولم يبقى سوى الجزء المؤدي للأسفل وهو في الجهة الأخرى

حاولت التحول والطيران لكنني صدمت بأن قواي غير موجودة لا طيران ولا سحر لم يتبقى لي سوى القفز مع هذا الجسد البشري للابد... في نفس تلك اللحظات أعظم محاربي السود تم قتلهم ونحر نسلهم ولم يبقى منا نحن السود سوى القليل..

برشاقة قفزت ووصلت للجهة الأخرى لأسمع صوت اخي "كيان" يبكي بقوة هزت أرجاء القصر فهرعت لغرفة والدتي حيث ينام هو

لكنني توقفت عند بو ابة الغرفة مصدومة بينما سرت بجسدي برودة عظيمة عندما لمحت يد والدتي تظهر من تحت حطام السقف بينما كيان كان يقف هناك على الأرض باكيا لا يعلم بالذي يحدث

ركضت له بسرعة باكية وقلت ماسحة دموعه :

- لا تبكي يا أخي عبير معك الآن

الحاضر :

استقبلنا بضعة من الجنود الذين رمقونا بسخرية وألقوا علينا كلماتها الجارحة " يا ملكة السود أين جناحيك ؟"

نظرت لسيف مهدئة اياه وربتت على كتفه بحنان ثم قلت لمروان الذي اندهش من شساعة المكان :

- هنا حيث تمت ازالة قو انا قبل عشرون سنة

كان المكان عبارة عن ساحة تر ابية كبيرة يحيط الشجر حدودها من الخلف لكن من الأمام فلا يوجد سوى مساحة مائية شاسعة حيث وجدنا على ضفتها القارب والرجل الذي سيبيعه لنا ,قال لنا بصوته الغليظ :

- لقد مرت سنين منذ أن ذهب شخص الى الجانب الآخر,انكم لمجانين

- نعم ,نحن كذلك..

ثم رميت وسيف بنرودنا على الأرض مع الرجل ,حيث غلبناه..7 قطع نقدية لي و12 قطعة لسيف الذي لوح بحماس عند رؤيته للرقم...تلك هي أول مرة أفوز فيها هكذا فحظي دائما عكر ولا أفوت الثلاث قطع

ركبت ومروان القارب العتيق بينما بقي سيف ليحل العقدة المربوطة ,فحلها وتقدم لنا راكضا ...ليجلس وتبدأ رحلتنا

نيريدات بحر شمس

صوت المياه التي تتر اقص مع دفع المجداف ,شعاع القمر المكتمل سقط على البحيرة ليظفي بلمعانه منظرا مدهشا... ,أسودان منزوعا القوى وبشري في جسد أسود يتجرأون ويدخلون بحر شمس بعد كل الذي سمعوه ...

في أعماق البحيرة كانت هنالك كائنات تتحرك...شريرة ربما ,متوجهة نحو الذي عكر سكينتها ,انهن النيريدات " حوريات بحر شمس "الذين تحولن الى أرواح سوداء بعد اخراجهن من البحيرة وجعلهن يقابلن ضوء الشمس حتى الموت

تقدمت احداها الى القارب ,كانت شديدة الجمال ذات شعر أسود طويل بعين شكلها عين بشر لكن داخلها بؤبؤ أخضر لسمكة, ذات حراشف صفراء زرقاء تتزين نهايته بذيل ارجو اني براق ,بيديها الناعمتين صعدت نحو سطح القارب لترى الثلاثة الذي فزعوا وتجمدت أنفاسهم ,فقالت عبير مخاطبة اياها بنبرة محترمة حذرة :

- نحن في سبيلنا الى سيفار ,لا نود اي شيء من كنوزكم ,فقط الوصول بسلامة يا نيريد

لتنطق الأخيرة بصوتها الذي يشبه في نهايته فحيح الأفعى :

- أنتم من السود...نحن لا نؤذي أمثالكم فأنتم في النهاية كائنات ظلمت مثلنا

أومات لها عبير باحترام ثم قالت :

- أنستطيع العبور؟ فالوقت يداهمنا

- لماذا ؟فنحن لا نرى كائنات كثيرة تبحر من المكان ...و"هايا " ملت الوحدة

ثم أكملت موضحة :

- "هايا" وحيدة فالنيريدات الأخريات يمتلكن قصصا مملة , وهي تبحث عن المتعة

نظرت الى سيف ,فرد عليها :

- يا "هايا" نعدك عند عودتنا ,سنبقى معك لساعات حتى تملي منا ,فاتركينا نمضي الآن وسنكون على وعدنا ملبين

- ما سبب سرعتكم هذه ؟

قال مروان :

- سنذهب لانقاذ سيفار و ابنتها

شهقت عبير وقالت برعب :

" يا الهي الرحيم ,نحن سنموت اليوم "

تغيرت ملامح النيريد وأصبح وجهها يعلن عن غضب وشرار,فبدأت تطلق أصوات تصم الأذن وتحاول أن تمسك بمخالبها احدى الثلاثة لكنها لم تستطع فهم استطاعوا تحريك القارب بسرعة مفزوعين ,فقالت عبير مخاطبة مروان :

- مالذي فعلته بحق الجحيم ,أكان عليك ذكر سيفار

- لم أكن أعلم بأنهن يكرهن سيفار أيضا

قال سيف بتعجب لاهثا وهو يجدف بسرعة هائلة :

- أنحن..ذاهبين لانقاذ سيفارو ابنتها ...اللعنة عليكما

كانت جميع النيريدات الخمسون قد وصلن لسطح البحيرة وهم يلاحقن القارب العتيق الذي يقارب على الطيران من قوة تجديف سيف ,احداهن قد وصلت لنهاية القارب وخدشته بمخالبها لتبدأ المياه بالتسرب الى القارب بسرعة

من شدة الرعب قام مروان بارجاع قدمه ووضعها على الجزء الذي خدش لكي يوقف التسرب ولو قليلا ,لكنه صرخ متألما بعد ان شعر بشيء حاد يمزق قدمه تمزيقا ...فزادت قوة التجديف تحت صراخ مروان الذي اكتسى أرجاء البحيرة حتى سمعته أشياء اخرى قادمة...

لحسن الحظ وصل القارب العتيق للضفة الأخرى بعد تعب شديد من التجديف . بينما قفزت عبير برشاقة حمل سيف مروان ورماه على الرمل ثم ألقى القارب الذي امتلءت مياهه بالدماء بكل قوة لدرجة انه وصل الى منتصف البحيرة

مروان يلهث ويقارب على الاغماء وعبير مبتلة بأكملها تخرج من حقيبتها قماشا ابيضا طويلا ربطت به قدم مروان محاولة منها لايقاف النزيف

عاد سيف بخطوات غاضبة ,ليقول فور وصوله اليهم :

- كل هذه المعاناة من اجل سيفار الداعره و ابنتها !, أتمزحان معي ...لو أخبرتماني من البداية لأقسمن على عدم الذهاب معكم

صمت بعد منادات عبير عليه لمرات ,فقالت :

- لقد جرحته النيريد ,لا يمكننا التحرك قبل الغد

رد عليها مروان وهو يتحدث بصعوبة :

- لماذا ؟ ,لم يتبقى الكثير من الوقت

- أنت ستهلوس لساعات ولن تتمكن من الحراك الا بعد 7 ساعات لا أقل منها

جلس سيف على صخرة كبيرة واضعا رأسه بين يديه متوترا ثم قال :

- لماذا تفعلين هذا يا عبير ؟ ,كلنا نعلم بأن علاقتك مع كيان لن تصل الى تضحية كهذه !,أنت تخبئين شيئا هذا أكيد وسأعلمه منك لاحقا انتظري وحسب..

"حوار طويل سيدور بيننا الليلة "

5 :أتمنى ...

باريس 1990

حيث كان كل شيء بخير,وقف مروان ذو 12 عاما على شرفة الفندق المتهالك الذي يطل على برج ايفل على بعد بنايتين ...فتح الدرج وأخرج قلم الرصاص الذي لم يتبقى فيه الكثيرودفترا ذو أوراق صفراء تضفي الاناقة على اي شيء يكتب أو يرسم فيها ...هناك في تلك الصفحة التي فتحها كان رسما لم يكتمل ...لبرج ايفل

رسم ببراعة شديدة حتى أقل التفاصيل كانت ظاهرة

- مروان ,يا بني ستؤلمك عيناك من الرسم المتواصل

كان ذاك والده الذي جاء بعد أسبوع من الغياب ,فورسماع مروان لصوه التفت بحماس وهرع الى والده معانقا ...لكنه لم ينتبه الى الكأس الذي بجانب الدفتر فسقط عليه لتنهمر المياه مدمرة اللوحة الفنية

التفت مروان بفزع وحمل دفتره فوجده مغمةرا بالمياه ...كل تلك الرسومات الجميلة قد شوهت وأصبحت ترعب قلب الفتى المسكين..

من قطرات المياه التي تساقطت من على الطاولة تغير المشهد الى يوم شديد الأمطاركان هناك رجل يركض في الشارع عند منتصف الليل "مروان "تعابير وجهه غريبة لا تفسر ,اهي حزن أم هي خوف...صدمة أم برود ,سقط الرجل على الأرض ليسقط مجددا في سهل أخضر مليء بالعشب والأزهار ضاحكا وفي حضنه طفلة جميلة ذات شعر ذهبي مظفورعلى طريقة أميرات ديزني تلقبه ب"دادا"

ركضت الصغيرة ثم سقطت ليتغير المشهد الى امرأة سقطت راكعة على الأرض متالمة "ايلين" كانت تعاني ألم المخاض لتوها فصرخت بقوة لتتحول الصرخة الى صرخة فتاة رضيعة كانت على يد مروان يراها والدموع في عينيه

تحولت دمعته الى ماسة تتقدم تاج مرصع على رأس امراة حسناء شديدة الجمال تبدوا كملكة حيث كانت جالسة على عرش وظهر من وراءها كيان الذي وضع يده على تاجها والقاه لجهة اليمين حيث أصبح ذلك التاج على رأس شخص آخر...ذو ملامح خبيثة تعلو وجهه...

"كيان...كيان...كيان"

استيقظ مروان بعين مضببة كانت عبير تناديه بهدوء وتنظر في كل لحظة الى الجهة الأخرى ,قالت بهدوء شديد :

- يجب علينا النهوض ,ستشرق الشمس قريبا

أجابها مروان بصوت غير واضح :

- ماذا ...مالذي يحدث

وضعت كفها تحت رأسه وساعدته على النهوض ,كان قد تحسن كثيرا والجرح قد التئم فجروح النيريدات ليست بطويلة الأمد ,لاحظ بأن سيف وعبير متجمدان تقريبا لا يتحركان ,قالت :

- هناك من ير اقبنا منذ ساعة الآن ,لا تقم بأي حركة مفاجئة والا سنغدوا تر ابا

مملكة سيفار

ها هنا تبدأ الأغاني بالانتشار والألوان بالروز مملكة "سيفار" حيث جميع الكائنات سواء

هاهن فتيات كيزيل الحمر بملابسهن الرمادية يعلمن بعض أساليب السحر في خيمة مخصصة لهم بعد حرب "ايناري الثانية"

تلك هي مملكة سيفار تعلو في الأفق ذات قبب زرقاء سماوية تسر النظر والعديد من الطوابق التي لا تستطيع حساب علوها مطلقا

فلندخل معا...الى قاعة ساحرة رسمت على جميع جدرانها بالفسيفساء العديد من الرسوم أبرزها جملة كتبت بالغة القديمة

"حيث تكون سيفار,حيث يكون الأمان"

الجملة مزخرفة تحت رسم لوردة قرمزية كبيرة ذات أشواك خضراء شائكة ,وتحتها مباشرة وجد عرش ضخم تجلس عليه أجمل نساء الكون "سيفار" ذات عين زرقاء تنطق بالجمال عندما تراها تشعر بأنها تناديك لتقترب وتبقى تحدق فيها للأبد ,وجه مستدير بشكل مثالي وشعر بني ينسدل على كتفيها بحنان ,عندما تراها تشعر بأنك في حضرة ملك العالم فعيناها الحادتان وملامحها الجدية تجبرك على الانحناء فورا معلنا السلام...ترتدي فستانا طويلا قرمزيا زين بقطرات من الماس وحذاءا عاليا يبدوا من شكله أنه مصنوع من الألماس هو أيضا

من وراءها يوجد عرشان آخران لكنهما أصغر و أقل زخرفة ذوي قماش أحمر حريري وطرز باللون الذهبي الحرفان الأولان لاسمي للأمير والأميرة

لـ ح ...ي ح

هاهي الحياة تمضي في طيات جدران هذا القصرونو افذه التي تغطيها ستائر رمادية على حدود كل منها خط رفيع من الفضة،اعبر معي الى الغرفة التي بنهاية الرواق حيث أصوات الأغنية العربية القديمة تنبع

غرفة ضخمة تحوي على سرير في الجانب الأيمن تستلقي عليه الأميرة "كارولين " ذات شعر أسود مربوط وعينان عسليتان ساحرتان وجه حسن يبين على أنها الأميرة بتلك الملابس البندقية اللون ترتدي تاجا مرصعا بتعاويذ حماية على معصمها رسم "رمز وردة مليئة بالأشواك داخل دائرة" . وذاك الخلخال الفضي الذي أصدر صوتا مع نهوضها لتطلع النافذة،فقالت بصوتها العذب :

-أسيطول الغياب يا معذب الفؤاد،لقد نقشت اسمك على كل عمود من سريري لكي أتذكرك في كل مرة أستيقظ فيها...وكل مرة أنام

قاطع صوتها العذب انفتاح الباب ,كانت تلك "نيران" خادمة الأميرة وصديقتها المفضلة التي دخلت الغرفة بحماس شديد قائلة :

- يبدوا بأنك لم تخرجي من القصر اليوم ؟

- ومتى أخرج ,أتتظاهرين الغباء

تقدمت لها بهدوء ثم قالت :

- أنت لم تعلمي اذن من هو قادم اليك ؟

توسعت عيناها صدمة ثم قالت :

- أنت تمزحين ! ...لا يمكن أن يفعلها

"نعم ,الجبان قد فعلها أخيرا"

مروان

أنفاس متباطئة اقتربت على التلاشي ,كلنا نرى ذلك الظل الذي يقبع وراء الشجر,لكن لا أحد يدرك ماهيته...أهو احدى تلك المخلوقات التي ظلت عبير تذكرها لمرات....,فهمست بأول اسم طرأ على ذاكرتي :

- النسناس ...اهو ؟

فهمست عبير دون حراك :

- لا أتمنى ذلك ...يا مروان ولا أتمنى غيره

رد عليها سيف بنبرة شرسة :

- أهذا وقته !,علينا الحراك بعد ثواني سأعد الى الثلاثة وستركضون جميعا ورائي نحو الجهة الغربية

...3...2...1

كان المشهد صامتا ونحن نركض بكل ما اوتينا من قوة وأشعر بخطوات ذلك الشيئ ورائي تتسارع شيئا فشيئا ,لم ارد الالتفات لكن ...

تجمدت حواسي عندما سكنت الخطوات من ورائي فالتفت بسرعة فلم أجد شيئا ...ضربة قوية على الأرض أمامي وصرخة صرختها بكل خوف عندما لمحت ذلك الشيء المرعب ... كان جسد رجل ...نصف جسد مقطوع الرأس

لقد كان يتنفس ..رأيت ذلك في بطنه التي تتحرك,و أنفاسه التي تخرج من رقبته المغطاة بالدماء ...منظر مقزز و أنفاسي قد أصبحت في غياهب النسيان رعبا

ارتمت صخرة على شجرة تبعدني بخطوات قليلة لكنها كانت نافعة فالمخلوق قد تبعها ...لقد فهمت الآن ان المخلوق يتبع الصوت ...كان سيف من ألقى بالصخرة

أكملت في ركضي بسرعة شديدة ,شعور بسعادة العيش لأول مرة ...كنت المح في كل لحظة سيف وعبير لكي أعرف اتجاههما ولا أضيع لوحدي مع هذا المخلوق الشرس ,للأسف لم يتوقف ذلك الكائن على الركض والقفز لكنه لم يتمكن من الوصول الينا كذلك مع قفزاتها العالية تلك الى حين تلك اللحظة

حيث توقفت الأصوات مجددا لكن دون عودة لدرجة أنني أخفضت من سرعتي قليلا لأرى ورائي

كان هنالك شخص يقف بشموخ على سيفه دماء تتقطر و المخلوق ملقي على التراب ويتلاشى ببطئ

التفت الي الشخص لقد كان شابا لا يفوت عمره العشرون سنة ,ذون عين سوداء صغيرة وحاجبين رفيعين ,جسد رياضي نحيل يرتدي سروال قصير ينتهي عن

ركبتيه قميصا عتيقا ورداءا طويلا قليلا ذو قبعة يغطي بها رأسه والأهم من كل ذلك رمز السود الذي على معصمه

ظهرت فجأة عبير بجانبي وسيف الذي بقي يتقدم للفتى بتردد حاملا سيفه

لنسمع صوته لأول مرة يقول بلكنة غريبة :

- لا تخافوا ,لقد عطلته الآن لكنه سيعود غدا

نظرت اليه عبير بحيرة وبقيت تتقدم له وتتحدث بتساؤل :

- عينان سوادو اتين ,شعر مجعد ...لكنة عربية قديمة ,أيمكنك أن تريني معصمك

توقفن بحذر بينما أظهر الشاب معصمه ,فوررؤية عبير لذلك الوشم قالت واضعة يدها على فمهابدهشة :

- انه ابن ياقوت الغجرية ...انك مجدُهان

تقدمت ببطئ قائلة :

- يا الهي انه حقا مجدهان

رد عليها سيف متعجبا بنفس الطريقة :

- مجدهان صاحب الست سنوات

قال الفتى بصوت مندهش :

- كيف لكما أن تعرفاني ؟ وليس بيننا علاقة سوى اللحظات القليلة التي سبقت

- الا تتذكرني ؟ لقد اعتدت على ارضاعك عندما كنت صغيرا ...يا الهي انه حقا انت

- من أنت يا غريبة الشكل ؟

- أنا عبير !ملكة السود

تحدث وكأنه يدرك المعنى :

- لا أعلم من أين سمعت هذا اللاسم ...انه يبدوا مألوفا بشكل كبير

- انك منا دم السود يجري بك ,لقد ولدت في مملكتنا أمك هي أختي الغير شقيقة أنا خالتك

- وكيف لا أعرف هذا ؟

- لقد اختفيت ذات ليلة بشكل غامض ولم يجدك شخص بعدها يا صغيري

أعاد الشاب سيفه الى غمده القديم ثم قال :

- أنا حقا لا أتذكر شيئا سوى أنني كنت مع مجموعة من الرجال وكلهم قد قتلهم الزنجرف

- لقد اختطفك اولئك الرجال اذا

قال سيف ,ثم أكمل :

- نحن عائلتك ...أهلك ووطنك ,لا تخف فنحن الآن معك

- لا أستطيع الخروج من هنا

- ماذا ! ولم ؟

- مهمتي هي قتل الزنجرف كل يوم انتقاما على عائلتي التي قتلها في السنين التي مضت

قالت عبير بهدوء :

- اولئك ليسوا عائلتك بل أعدائك ,نحن عائلتك وسنأخذك الى والدتك الحقيقة ووالدك فور انتهاء مهمتنا

- أنا لا أستطيع ...الغابة هي منزلي ,لكنني سأقودكم الى مخرج الغابة وستتدبرون اموركم لحالكم هناك

كنت أنا في وضع صامت لم أفهم الذي يحدث هناك ,ولد مخطوف ...الزنجرف ...عبير امه بالرضاعة...

قالت الأخيرة :

- بني ,أنت لا تنتمي الى هنا ,أعدك بأنني سأحميك من اليوم ولن يستطيع أي شخص لمس شعرة منك

بخطوات سريعة تقدمت نحو وعانقته بحنان ودموعها تنهمر بقوة , حتى سيف الذي يشبه الحجر في مشاعره كانت عيناه قد تلألات دمعا ...علاقة غريبة تجمع هؤلاء الاثنان

بدأنا بعدها في التوجه نحو مخرج الغابة ,وعبير لم تترك يد الفتى أبدا ,فقلت لسيف الذي تراجع لي وتركهما لوحديهما :

- يا صديقي , هل عبير متزوجة ؟

رمقني بلؤم ثم قال :

- لقد نسيت أمرك يا "مروان " ,قاتل السود

بقبضته القوية أمسك بكتفي بشدة لدرجة أنني قاربت على الصراخ ألما ,فهمس في أذني قائلا :

- أنصحك بألا تتفوه بكلمة معي حتى النهاية , احمد ربك ان عبير منعتني من قتلك والا فكانت دمائك على نصلي الآن

تقدم بغضب ,فأدركت بأنه قد علم سري وهو غاضب على موت رفيقه

نهاية الغابة

لم تتوقف عبيرعن البكاء وهي تترجى الشاب للخروج من الرحيل معنا ,لكنه رفض وتركنا... احتضنت عبيرسيف باكية بينما يتقدم الفتى عائدا نحو منزله الغريب

" لا يمكنك فعل هذا بامك "

قلت له ,ليتوقف عن الحراك وهو بجانبي ,التفت ثم قال :

- لقد حسبتك لا تستطيع الحديث

تقدمت اليه و همست في أذنه :

- اذا اردتها أن تموت فاتركنا ...فالطريق ليس آمن ولن يستطيع شخص حمايتها مثلك

ربتت على كتفه بلطف وقلت بينما أعود بخطو اتي الى عبير:

- والرأي رأيك ...

أكملت مشي بهدوء متمنيا أن ينبس بحرف ليوقفنا عن الحراك

" انتظروا ...سوف آتي معكم"

ابتسمت بحنان لعبيرالتي اومات لي ممتنة ...

كارولين

ياله من حظ عاثر حبيبي قادم من أجلي و أنا لا أستطيع تجهيز احتفال من أجله ,خرجت من غرفتي راكضة بحماسة حتى وصلت للقاعة الكبرى حيث كانت والدتي تتحدث مع بعض كبار الشخصيات " الأميران التوأم حميد ورامي " أردت أن أكمل في خطو اتي لساحة القصر لكن نداء أمي لي أوقفني لأدخل القاعة بهدوء ورزانة ,قابلتني كلمات والدتي قائلة :

- هؤلاء الأمراء حميد و رامي وقد أحضرا اليك هديتان عجيبتان

ثم أومأت لحميد الذي تقدم و انحنى مقبلا يداي كعادته فوررؤيته لي ,أخرج من جيب لباسه الأجنبي المزركش طائرا صغيرا عرفته مباشرة ,لابتسم بهدوء كان صغير العنقاء ...كيف حصل عليه ان طائر العنقاء لطائر نادر

كان صغيرا جدا لدرجة أنه كان يحمله على كفه ,قال بصوته الهادئ:

- ارفعي كفك

رفعت كفاي لينطلق الصغير طائر بجناحيه الصغيرين اليهما ,ويجلس هنالك بريشه الحنون

ربتت عليه برفق شديد و ابتسمت لحميد قائلة :

- انك لصائد بارع وأمير كريم ,الشكر لك

أوما لي باسما ,ليأتي الثاني قائلا :

- لا تحكمي على هديته قبل أن تري هديتي

- هيا أرنا ما لديك

كان يحمله وراء يدي فأظهره الي بحماس ,كتاب ناطق الأخير من نوعه انه كتاب "الليالي السبع" الناطق بصوت كاتبه الأصلي

نظرت له بفخر وقلت :

- أنت حقا أبهرتني !,كيف لك أن تجد كتابا ناطقا في هذا الوقت ...ألم تحرق جميعها

- من أجلك يا أميرة سيفار سأحضره ولو كان في باطن الأرض أو في سحب السماء

- الشكر الجزيل لكما أيها الأميران هداياكما هذه ذات مكانة كبيرى عندي ,أنا متأكدة بأن والدتي ستكرمكما على أفضالكما العديدة

قال حميد :

- حكم مدينة أسلافنا بأكملها لوحده فضل لن ننساه لملكتنا الفاضلة

كانت أمي قد حررت مدينتهما من لعنة ابنها يامن الذي قام بوضع مدينة "رملة" داخل جدار من الزجاجج مغلق من جميع الجهات ولا نفس يستطيع العبور كانوا حقا على حافة الموت لولا شجاعة الملكة

لا أعلم كيف أصبح هكذا ...أخي الوحيد ,لم يرد أن تحكم أمي المملكة بعد وفاة والدي رغم أنها عاهدته بأنها ستعطيه الحكم بعد أن يصبح في سن العشرون

لكنه كان غيورا وجشعا بشكل لا يمكن تصوره ...كان سيقتلها ..أمي في تلك الليلة حين انقلب على المملكة التي ترعرع فيها

لازلت أملك له حبا جما رغم ما فعله ,أعلم أن أمي تفعل كذلك ,لكن ليس باليد حيلة فما فعله لا يغتفر

على أية حال سأتزوج حبيبي وسنرحل بعيدا حيث لم يذهب أي شخص الى صحاري الغرب حيث لم تطأ قدم شخص ما ورائها , الى هناك سنذهب وسنبني مملكتنا لوحدنا حجرا بحجر...

منزل مجدُهان

منتصف غابة اللاشيء

اجتمع الشمل أخيرا ابن ووالدة انتظرت هذه اللحظة منذ سنوات ,كان منزل مجدُهان عبارة عن كهف صغير لا تنيره سوى النار التي يشعلها نادرا ,به فراش مهلهل وسادة تلاشى صوفها وغطاء يغطي فتى رضيع , كان البيت أقرب بحضيرة ...فكله أوراق شجر

"كيف لفتى أن يترعرع هنا؟"

توجب على الجميع العودة بسبب مجدُهان الذي لديه شيء في ذلك الكهف لا يستطيع الرحيل دونه , انه كتاب كتب فيه كل المعلومات وذكرياته في هذه الغابة

"ربما ستكون توجيها لمن يدخل هذه الغابة يوما ما " قال بفخر

قالت عبير:

- أهنا عشت مع مختطفيك كل تلك السنوات

- لم يكونوا مختطفي !

حدثها بنبرة وقحة ,فأردف عندما أدرك ما فعل :

- أعتذر...لا ,لقد اكتشفت هذا المكان منذ عامين بعد أن توفي آخر رفيق لي

- أيعني هذا أنكم كنتم عالقين في العراء كل هذه الأعوام ؟

- نعم تقريبا ...

قال سيف وهو يتحسس جدار الكهف :

- أنت حقا شجاع يا فتى ,على عكس البعض

أكمل كلماته الأخيرة وهو يرمق مروان بلؤم ,أدركت عبير للحظتها بأن اخبار سيف كان أمرا خاطئا ...نسيت طباع سيف بعد كل تلك السنين من الفراق

قالت الأخيرة مغيرة الموضوع :

- هيا لقد حان وقت الذهاب الى سيفار !

وأردفت مربتة على كتف مجدهان :

- مع ابني الحبيب ...

لقد كانت تصرفات عبير مع مجدهان تعبر عن سعادتها التي لا تصدق , فأخيرا بقي ابن من ابنائها حيا ...

مملكة شمس قبل 5 سنوات

عبير

أصبحت في السادسة عشر ولازلت أختبئ عن مرئى الجميع أعيش مع عديمي الرموز[2] في السن الذي كنت فيه ربما سأكون الحاكمة . الملك يامن جنوده يبحثون عني لم أعلم مالذي امتلكته ليريده بتلك الشدة

غرني السود لافتعال مكيدة لاسترجاع حقنا من الملك , وكذلك فعلنا ... حضرنا لثورة عظيمة فجرنا اجزاء من قصر الملك , سرقنا العديد من أسلحة قصره ...لكن بعض السود حبذوا حياة الذل وخانوا الثورة مخبرين الملك يامن ,اكتشفنا و انتهت ثورة الملكة عبير بعد سنة واحدة من اندلاعها ..

انتهى عصر السود وجبروتهم ,ها نحن نطارد من المملكة ونوضع في أقفاص كالحيوانات الجميع يحدق بي ...بآخر فرد من العائلة الملكية يدخل تلك الساحة المليئة بالأقفاص ,مكبلة اليدين منزوعة القوى وموضوع على ففمها سلسلة كالتي توضع للكلاب

كان الحارس يركلني بكل قوة ضاحكا وهو يصرخ بسخرية :

- أهذه التي كنتم تنتظرون ! ,هذه هي ملكتكم التي كنتم تضعون أملا فيها

دموعي تتساقط و أنا أرى عائلات من السود ...صغاروكبارينحبون وبعضهم قد أخرج ذراعه متحسرا على حال ملكتهم

---

[2] عديمي الرموز : فئة مهمشة من البشر والكائنات الذين لا يحملون أي رمز في معصمهم ولا ينتمون الى أي عائلة

كان قفصي مختلفا عن الجميع ,ذو أسنان حادة في جميع الجوانب مع حيز صغير في المنتصف ,لدرجة أن يدي قد جرحت بحدة عندما ألقوني هناك

القيت برأسي تحت ساعداي بحزن واستسلام ,كل ما فعلته وخططت له قد ضاع الآن

- عبير...عبير أنا هنا

كان الصوت مألوفا لدي , قلت بصوت مرتعش :

- من أنت ؟

- سيف ...أنا ابن خالتك

- كيف أنت هنا !, لم جئت

- كيف لي أن أفوت أول حرب ستقودها ابنة خالتي ,كما أنها حرب تخص جميع السود ليس سود مملكة شمس وحسب

سقطت دمعتي ببطء لتمر عبر وجنتاي اللتان احمرتا من الضرب المبرح لتتحسسهما بحنان وكأنها تقول لي "لا بأس"

- أنا آسفة لقد حطمت آمالكم ,أنا... لست بملكة . لقد خذلتكم جميعا

قال بصوت أكثر هدوءا من المرة السابقة :

- لا ,أنت لم تخذلينا...أنت رميت الشعلة ونحن الحطب ,لكن للأسف فبعض الحطب كان مبتلا

- ماذا سيحدث الآن ؟ , أهي نهاية السود

- انهم يحضرون الساحة لساعات الآن ليس بامكاننا فعل شيء

صمتت لبرهة ,مستعيدة بعض الذكريات ,أيقنت بأنني أستطيع انقاذ حياة الجميع ولو أن ذلك سيتطلب مني حياتي

نهضت بهدوء شديدة وصرخت للجندي الذي يحرس زنزانتي بأنني أريد مقابلة الملك , بدا بأن الحارس قد أعلم من قبل بأنني سأقول هذا فهو لم يذهب الى رأسائه بل فتح البوابة بثقة وتركني أخرج دون أن ينبس بحرف , الجميع كان يراني بالحراس..بالسود ...أومات لسيف الذي نظر الي بشفقة شعرت بأنها نظرة الوداع بحق

تقدمت بخطوات سريعة وسط الضجيج الهائل " كم من أسود هنا بحق السماء ؟" قلت في نفسي

كان الحارس يتبعني و أنا اعبر السلالم المؤدية لقاعة الملكة ,وقفت للحظات تنهدت بهدوء ورفعت رأسي شامخا ثم دفعت البوابة بيداي هاتان

عندها نظر الي مبتسما بخبث وهو يتجرع نبيذه :

- لقد علمت بأنك ستأتين , ثورة عبيرهم يقولون ... أظننت بأنك ستواجهينني بمجموعة من السود منزوعي القوى ...

- هيا بامكانك أخذ ما تريد مني ,أنا لك

- اركعي

رمى بكأسه الزجاجي على الارض الذي تطايرت بعض شظاياه على الساق العارية لجاريته لتبتعد وهي ترتجف خوفا

تركت ساقاي ليسقطان على الارض ,ركعت له موطئة الرأس انسدل شعري على عيناي اللتان اغمضتا غصبا ,رفع شعري لتظهر له رقبتي التي عليها زخرف لم أعلم ماهيته يوما ,بدأ يتمتم بطلامس غريبة لم أفقه بها شيئا

لكن هنالك شيء غريب...رقبتي انها تسخن ..حرارتها تزداد مع كل كلمة ينطق بها الى أن أصبحت جحيما يكتسي جسدي بأكمله , شعرت بأن هنالك شيئا يخرج مني...

صرخت وسقطت على الأرض مهدودة الروح فرأت عيناي ذلك النور الذي استخرجه مني يطير بسرعة شديدة حتى أصدر نسيما بالمكان الى لحظة دخوله الى جسده

سقط هو الآخر متالما ولم أرى شيئا بعدها...

قصر يامن

جيش بعدد يفوت العشرة الاف ,شباب وحتى صغار قد فاتوا سن العاشرة يتدربون على الحرب واستخدام بعض القوى السحرية التي منحت لهم من لملك يامن ,الذي يبجله الجميع ويقسمون باسمه ...رغم ذلك كانت هناك عصبة معادية له ...مدينة الرملة انهم معادون حقا للملك مما تسبب لهم في ضعف كبير في جميع مجالاتهم ...

مملكة يامن تعتبر ثاني أكبر مملكة في العصر ,ذات طابع عربي قديم ,يحيطها سور جدر انه مزخرفة بأكملها بطلامس حماية عديدة ,من الكلمات التي كتبت على ذاك الجدار

"حاول الدخول والموت سيعطيك القبول "

مع ان المملكة في عهد قديم لكنها كانت اكثر تقدما ورونقا فالملابس مختلفة بشكل كبير لا توجد تلك الملابس الرثة القديمة

بل انواع جديدة من القماش وحيث ترسم عليها ما تريد من زهورونقوش

وبالطبع القصر الذي يحمل طبعة انجليزية بقبب هرمية ذات لون فضي ,من البو ابة ندخل حيث وجد عشرون حارس عليها " هل الملك يحتاج كل هذه الحماية ؟" , وهاهو يامن ... يقف في ساحة قصره التي ملأتها الورود المتنوعة يسقي شجرة كبير باهتمام كبير "انها شجرة الحياة" كانت حقا كبيرة وتحوي أكثر من مائة ورقة...

الملك ذو ملامح وسيمة عين عسلية لحية سوداء كثيفة ويرتدي ملابس بسيطة لدرجة أنك تشعر بأنه واحد من الخدم ذو قوام رجولي وقامة طويلة

جائته فتاة صغيرة تجري بحيوية وهي تحمل بين يديها الصغيرتين كتابا ذو عنوان " ستة حكام وملكة " , نظر لها يامن بتعجب وقال :

- هل دخلت لمكتبتي مجددا !

- هذا الكتاب فقط لن آخذ غيره مجددا

نظر لها بتجهم ولكن مع بسمة خفيفة علت شفتيه ,فقال وهو يحملها :

- هل تريدين أن أقراه عليك مجددا ,أم أنك قد تعلمت القراءة أخيرا

- أبي... أنا في سن الثامنة كيف لي أن أكون أمية

- أنا فخور بك يا ثعباني الصغير

يامن من النوع الذي يجعل كل أمور الحكم بعيدة عن عائلته فهي حدوده الوحيدة ,زوجته قد قتلت وقاتلها لايزال يحترق كل يوم في الساحة الكبرى منذ سبع سنوات ,حيث أعطاه يامن الحياة الأبدية لكي يتعذب للأبد

بخطوات هادئة يدخل الملكة قاعة العرش حيث ينتظره ضيفان قد ظل ينتظرهما منذ ساعات

حيث لا يوجد اسم

مروان

لصوته العذب غنى مجدُهان أغنية كان يغنيها السيارة للترفيه عن أنفسهم وقد حفظها منهم , عبارة عن قصة صغيرة عن أمير أحب أميرة ولكن والدها رفض وأصبحت في حبه أسيرة فماتا مع بعضهما البعض تحت نيران تنين الأب

قالت عبير مخاطبة سيف الذي تقدم بخطوات عنا متجنبا الحوار معي :

- يبدوا بأن ابن خالتي أصبح يعرف كيف يغضب

توقف عن الحراك فجأة ثم قال دون أن يلتفت :

- سنصل الى المدينة بعد دقائق ...

شعرت من صوته بالحزن والغضب ,فتقدمت اليه دون وعي وقلت :

- أنا لم أقتل كيان ...لقد قتل نفسه في سبيل سيفار

- هل فعل ؟ !,هل فعل... , ألم يستطع العودة وحسب ...عوض العودة أرسل الينا "مروان" مزيل اللعنات

- قل ما شئت ,فأنا لم أرد أن أتخلى على منزلي المريح وحياة الرفاهية لأجل هذا ...لقد كنت غنيا في جسدي الآخر.شهيرا والجميع يعلم اسمي

صمتت لبرهة ثم أردفت :

- اما هنا فلست سوى "كيان" ذلك الأسود الوضيع الذي لا يملك سوى المشاكل ومجموعة من الناس يريدون قتله أينما يذهب

حاول الهجوم علي لكن عبيروقفت بيننا صارخة , دفعت بكفها على صدر سيف قائلة :

- لا تحاول حتى فعل هذا !, ليس وهو تحت حمايتي

ثم أكملت :

- أنتما ستتقدماننا وتتعرفان قليلا أما أنا ومجد..

لم يكن هناك ...مجدهان , وكأنه تلاشى شهقت عبيربهلع وركضت تبحث عنه

أما أنا فقد اسرعت الى الأمام حيث لاحظت هنالك دخان طفيف ينبع...وهاهو هناك على الحافة يقف يشاهد المنظر الشنيع الذي انكشف لي مع كل قدم اطاها للأمام...

" يالهي الرحيم مالذي حدث هنا !"

❄❄❄

شهقت عبير بكل فزع حتى جثت على الأرض ودموعها تتساقط على التربة التي وصلتها بعض بقايا الحريق العظيم

مساحة هائلة أمامنا محترقة , الأجيج أخذ كل شيء في طريقه من بشر وبيوت لن تستطيع أن تلمح سوى العظام البشرية التي ترامت بكل مكان ...ليس البشر وحدهم الذين التهبوا...بل حيوانات وكائنات عديدة أخرى

لم أستطع أن أحبس دموعي وخاصة عند رؤيتي لعظام شخص كبير وعلى صدره كان هنالك جسد صغير...ربما لفتاة ...أم لصبي في عمر الخامسة

"كيف يستطيع شخص أن يضرم النار في هذه المساحة بأكملها " قلت

فردت علي عبير تحاول بكل مالديها من بأس ألا تنزل بعينيها الى الأسفل :

- ان هذه مدينة الرملة آخر المدن التي امتلكها يامن...يبدوا بأنهم قد فعلوا شيئا أغضبه ,لكن ...ما ذنب هؤلاء جميعا

قال سيف بصوت هادئ تعلوا عينيه دموعا حبيسة في قفص الغضب :

- هل نسيت من هو يامن ...الملك ذو جبروت ألف ظالم ,نحمد الله نحن السود أننا لم نتلقى عقابا كهذا

- انتزاع قوانا لعقاب أشد قسوة وأعظم عذابا... قريبا سنصل لسيفار ,أنا لن أعود مجددا الى المملكة

- وتتركين جميع السود هناك ,دون ملكة !

- هل قلت لتوك "ملكة " !

ضحكت بسخرية ثم أردفت وهي تحمل قلادة جذبت انتباهها :

- لا يوجد ملكة للسود ولن تكون هناك

ثم أكملت وهي تتحسس الكلمات التي كتبت على ظهر القلادة :

- انها قلادة حراسة...انها لك يا مجدهان ,ارتديها دائما فمن يعلم ما قد سنلاقيه في الساعات القادمة

أعطتها بدون انتباه لي , بقيت أنظر الى جمال الياقوتة للحظات ثم ناولتها لمجدهان الذي ارتداها...

قلت :

- اذا كانت سيفار بتلك القوة لماذا لا تقتله ...

ردت علي عبير:

- انه ابنها , أتستطيع أنت فعل ذلك ؟

صمتت لبرهة فقلت :

- هل ولد الجميع هنا بقوى سحرية ؟

- لا يتوجب ذلك ...حتى سيفار لم تولد بقوتها هذه , كانت بقوة بسيطة جدا لولا أن زوجها سلمها قواه كلها في حرب قيصر لتصبح بذلك قوة لا تضاهى ...

في اليوم التالي كنا قد انتهينا من المشي عبر المدينة الرمادية ,رميت بنظري الى ما قد ألمحه من بعيد لأرى مجموعة من البنايات تنجلي ,فقلت في أمل :

- أتلك هي سيفار !

ابتسمت عبير وقالت بعد تنهيدة طويلة :

- تلك المدينة الأولى من سيفار" المكتبة "

- دعيني أحرز أجميع سكانها يقرأون الكتب ؟

ضحكت وردت علي :

- انها حيث توجد كتب العالم,جميع الكتب تجمع وتوضع هناك ...سترى

ابتسمت قائلا :

- أعتقد بأن شكسبير ودوستويفسكي لن تكون لهم الفرصة لتكون كتبهم هنا

نظر لي الجميع بحيرة سوى مجدهان الذي منذ خروجه من تلك الغابة لا ترى عيناه سوى تلمع اندهاشا وحيرة

فأكملنا طريقنا الى حيث انتهت الأرض الخضراء وصولا الى ما يطلقون عليه المكتبة وقد كانت ذات بنايات عالية شعرت بأنها ناطحات سحب عصرهم , و جدرانها مصنوعة من الزجاج الصلد بشكل مدهش ومخيف في آن واحد

توقفت عبير عند احدى البنايات ,حيث كتب على بو ابتها بلغة قديمة "كتب التاريخ" اتبعناها ودخلنا المكان الذي يسر النظر تلك الكتب المتراصة على الهواء

دون رفوف أم أولئك العمال غرباء الشكل ,نفس الشخص لكن نسخ عديدة منه كل منهم يقوم بعمل محدد

واصلنا سيرنا الى حد رواق ضيق على عكس الأروقة الأخرى ,لقد كان الرواق المتعلق بتاريخ السود يبدوا بأن الزوار لا يطالعون تاريخ السود على الاطلاق لدرجة أن الأغبرة اكتست الأغلفة ...حتى العمال لا يهتمون بهم بعد الآن

قال سيف الذي اسى على حالة عبير:

- يجدر بنا الرحيل الآن , فالموعد الذي أخبرنا به المستقبلي يقارب على الوصول

حملت كتاب كبيرا تحت عنوان " العائلة الملكية " واشترته من أحد العمال غرباء الأطوار ببضع قطع نقدية حيث رآها بسخرية وقال :

- من الذي يصرف ماله على تاريخ قد فنى

قلت له بغضب :

- لا تستهتر بالتاريخ !, ما عاشه السود يجب أن يكتب في كتاب من ذهب أيها الكائن الصغير التافه.. اللعين

انفجر سيف ضاحكا وكذلك عبير التي ربتت على كتفي بفخر وقالت ضاحكة :

- لا تزعج نفسك انه ليس سوى مكتبي

أكمل سيف ضاحكا :

- صغير تافه لعين ...

قاعة المملكة

ضجيج يملأ المكان , من نقاشات وعراك نشبا بعد سماع خبر احتراق مدينة الرملة ,صرخت فيهم سيفار بغضب ليصمت الجميع فورا نهضت من عرشها وتقدمت بخطوات غاضبة الى منتصف القاعة :

- مدينة الرملة لم تكن تحت حمايتي ...بل كانوا موالين له !

صمتت لبرهة ثم أكملت :

- نعم ,أدرك بأن ما حدث لهم يزلزل الكيان ,لكن لست بمقيمة حرب أخرى !

ما فعله يامن قد فعله في حدود منطقة حكمه وليست لي القدرة على مجاراته مجددا

- مولاتي ...

قال الوزير بهدوء ,فاومات له آذنة بالحديث :

- مئتا رجل من تجارنا قد كانوا هناك !. ومنهم ابني !

- أنا آسفة على خسارتك أيها الوزير,لكن قراري لا رجعة فيه .

عم الضجيج مرة أخرى وهي تخرج من القاعة بغضب ويأس ,ليسقط ظهرها على الجدار مهدود الحال ,كانت خائفة ...من أن تخسر الحرب كما فعل السود قبل عقد مضى . لكن خوفها من خسارة ابنها كان أكثر قتامة في قلبها المرتعد

استعادت أنفاسها وقامت محافظة على رباطة جأشها وتقدمت نحو غرفة كارولين التي احتضنتها بحماس فور رؤيتها قادمة

نزعت التاج عن رأسها وبداخلها شعور الارتياح ,كان نقمة ذاك التاج رغم خفة وزنه كانت تشعر بحمل ألف شخص على عقلها ,وضعته على الوسادة التي جاءت بها نيران بسرعة ...

قالت كارولين وهي تتحسس جبين والدتها المتعبة :

- مالذي أصابك يا أماه ؟ ,ان حرارتك مرتفعة جدا

ابتسمت بحنان وقالت :

- مدينة الرملة...ذلك الانفجار السابق كان صادرا منها

نضهت كارولين في صدمة من أمرها واضعة كفها على قلبها الذي ازدادت نبضاته برعب شديد :

- أهو قادم !, مدينة الرملة ليست ببعيدة يا أمي.. ماذا عن سكانها هل ...

أومات لها بيأس فسقطت الدمعة من عينيها ,أدركت بأن أخاها قد أصبح ذو قوة جبارة وسيقضي على سيفار عاجلا أم آجلا ,فقالت ضامة يدي سيفار:

- أعلم بأن ما سأقوله يدل على الجبن لكن ...هل يمكننا الهرب ؟

نظرت اليها بعينان توسعتا سخرية :

- هل أهرب من ابني ؟ ...الذي أنجبته بجسدي هذا ,هو لن يضاهني قوة مهما فعل يابنتي

عادت البسمة اليها مجددا ثم قالت :

- لا تخافي ,حتى لو جاء فسأقضي عليه...لقد انقضت سنوات حبي له وخوفي على فقدانه فبعد الذي فعل ...خمسة آلاف شخص وحقل عظيم قد احترقوا حتى النهاية

صمتت لبرهة ثم أردفت :

- كيف أنكما من نفس الرحم لكن بهذا الاختلاف العظيم...

- أحمد الله على وجودك معي يا ملكة الملوك

ضحكت قائلة :

- يالك من متملقة هيا فلتخبريني ما سبب غنائك المستمر هذا الأسبوع ,أهو حلم سعيد

ما كان يميز كارولين هو أن لديها هبة الأحلام ,جميع أحلامها تتحقق بالسعيدة منها والحزينة ...حيث كانت أول من عرف بمكيدة أخيها

- لا ,لقد رحلت عني الأحلام منذ سنة الآن ,يبدوا بأن هبتي الوحيدة قد تلاشت...

- سوف تعاود المجيء لك عندما تحتاجينها...

نهضت سيفاروأعادت وضع تاجها الماسي بأمل قائلة :

- انها لفترة سوداء سنمر بها ,هذا ما أنا أشعر به

بعد يومين

"انه كيان حبيب ...الأميرة قد عاد" ,هذه هي الأخبار التي بقيت تتداول بين خدم القصر

هاهو على مقدمة بوابة القصر يقف ,يشعر بالانتماء وكأن هنالك شيء بداخله يجذبه للدخول

"غريب "قال مروان في نفسه

فتحت بوابة القصر بعد ثواني ,لكنهم منعوا رفقة كيان من الدخول ...فقال لهم بصوت متعالي :

- أنا لن أدخل دونهم !,فلو أرادت مني الملكة الدخول فلتسمح بقدومهم معي

تقدمت كارولين وهي ترتدي خير ملابسها ,فستانا بنفسجيا مطرزة بالذهب حدوده ,ترتدي قلادة ذات حجر كريم وردي يزينها كتبت على ظهره "الى نجمتي التي تنير ظلامي"

لم تكن تشعر بساقيها حتى وهي تجري بشغف يملؤها اتجاه بوابة القصر حيث حبيبها ينتظر,انه الشوق ذلك الشعور الغريب الذي اعترى قلبها فور سماع نيران قائلة بأنه قد جاء

تنهدت ببطء ورعشة شديدين متمالكة نفسها ثم خرجت الى النور حيث تقابلت أعينهما في ذلك المشهد الصامت ...حيث توقف كل شيء للحظات ابتسمت

لتسحر جميع العمال الذين يشفقون على حظهم ...عدم امتلاك قلب ذلك الجمال

مع كل قدم تطؤها تشعر بالحياة ,"مالذي يحدث لي ؟" قالت في نفسها

تردد في قلبها تلك الجملة الأخيرة التي قالها لها قبل رحيله

" في شهر ماي حيث ستكون الأزهار في أوج تفتحها , ستجدينني منتظرا اياك عند الحديقة سأضم يديك وسننطلق الى المجهول حيث ستكون بدايتنا معا"

"لقد لبيت وعدك " قالت له وهي توماً للحراس بفتح البو ابة ,ابتسم لها دون أن ينبس بكلمة

- من هذه ؟

قال هامسا لعبير التي اقتربت منه وقالت :

- انها كارولين ابنة الملكة سيفار,يبدوا بأنها تعرفك !,لا تقم بأي شيء سخيف ...أرجوك

فورفتح البو ابة تقدما ببطئ كل باتجاه الآخر,احمرت وجنتاها بشدة ولم تنزع البسمة من شفتيها

- كيف حال أميري ؟

قالت له ,ليرد عليها دون وعي :

- بخير,حمدالله و أنت ؟

نظرت لرفقته ثم قالت بتعجب :

- أهذه عبير؟ أختك الكبرى !

- نعم..

قالت عبير منحنية تبجيلا :

- يشرفني اللقاء بأميرة سيفار

حيث فعل الجميع ذلك من سيف ومجدهان ,حتى من مروان الذي انحنى في حيرة من أمره حيث رأته كارولين بغرابة ضاحكة معتقدة بأنه يمزح كعادته

لم تبتعد كارولين عنه للحظة وهما يدخلان القصر , قالت له هامسة :

- لم تخبرني بأننا سنرحل مع عائلتك ...لكن مرحبا بهم على كل حال

ابتسم مروان لها في صدمة وقد ارتفعت حرارته خجلا ...أم خوفا هو لم يعرف حقا ,فكل الذي يحدث كان كثيرا عليه

برشاقة دقت على باب قاعة العرش , ليفتح لها معلنا على اذن الملكة بالدخول ,أعين دهشة كانت تتملك الجميع لجمال ذاك البناء الذين هم داخلون عليه ...ذلك النظام المميز

انحنى الجميع عند وصولهم للمنتصف بما فيهم كارولين ,فالت الأخيرة :

- مولاتي ,أقدم لك كيان من آخر ملوك السود وبعضا من عائلته

- لقد أطلت الغياب هاته المرة يا كيان ... مرحب بملكة السود عبير ان القصر ابتهج بوجود شخصية مكافحة مثلك على بلاطه

قالت عبير:

- الشكرا للملكة ,انه لشرف عظيم مقابلتك بعد كل هاته السنين

- مالذي جاء بكم ؟ ,أهي بمهمة الشرق يا كيان ؟

قالت عبير مقاطعة قبل أن يلفظ مروان بحرف :

- انه لشيء خطي الذي أجبرنا على القدوم اليك من الجانب الآخر يا مولاتي ,نتمنى لو أنك تعطيننا دقائق على انفراد

أومات للمستشارين للخروج ,فقالت عبير وهي تتقدم ببطئ وحذر نحو الملكة :

- مولاتي ,هناك من سيختطف الأميرة كارولين ليلة حفل ذكرى مولدها

- ماذا !

قالت كارولين بصدمة وهي تمسك بيد كيان بقوة

ردت عليها سيفار وعلامات الحيرة تعلوا وجهها :

- كيف سيحدث هذا !, ومن أخبركم في بادئ الأمر؟

- انها لقصة طويلة

- و انني لمستمعة جيدة !

- أيمكن للأميرة أن تعذرنا وتخرج من القاعة هي أيضا..قالت عبير وهي تشير نحو كارولين

لترد عليها كارولين بغضب :

- ألست أولى بأن أستمع لحديثكم هذا ! ,فأنا التي ستختطف في نهاية الأمر

بسحرها فتحت سيفار البو ابة التي ظهرت عليها "نيران " مر افقة الملكة من العدم

- نيران خذي الأميرة الى جناحها وقومي باغلاق بو ابة الجناح بتعويذة " يفتح "

أومات لها المر افقة باحترام ,لكنها توقفت فجأة دون وعي عندما لمحت عيناها عبير,حيث حدقت فيها لثو اني بصدمة وشعلة تعلوا عيناها ...ثم أكملت في طريقها آخذة عبير وخارجة من القاعة

أغلقت القاعة مجددا ,لتقول سيفار:

- ألم آمرك يا كيان بحمايتها !,و أين هي أخبار مملكة يامن لم أتلقى رسائلك منذ شهرين ! يجدر أن يكون لديك عذر جيد هذه المرة والا عقابي سيكون عسيرا

قال مروان متلعثما :

- أنا ...أنا ..

-هو ليس بكيان !قالت عبير فجأة وبصوت عالي

- كيف هذا ,واذن من الذي يقف أمامم ناظراي

- هذا هو السبب الذي أخرجنا الأميرة من أجله ,إنه مروان بشري في جسد كيان جاء من المستقبل بعد حدوث شيئ رهيب

- سينفذ صبري قريبا أيتها الملكة !, لذا فاسرعي في رو ايتك للقصة

قالت عبير:

" كل القصة تبدأ عندما يختطف يامن أخته كارولين ..."

جناح الأميرة

كارولين

بقيت أهوم وأحوم بالغرفة بتوتروهلع و اتحدث لنفسي ,قلت لنيران بعد أن رأيتها تائهة البال لدقائق :

- مالذي حدث معك بحق السماء !

خرجت نيران من دوامة أفكارها وردت على الأميرة باسمة :

- لا ,لا شيء أنا فقط متوترة مثلك

- من بر أيك سختطفني وفي ذكرى مولدي,لماذا يحدث هذا ...كيف عرفوا بأن ذلك سيحدث

صمتت لبرهة ثم قلت :

- لا ,هذا لن يحدث قبل زواجي بكيان !,أعد مختطفي بهذا

- سيكون كل شيء على ما يرام القصر محمي من جميع الجهات لن يستطيع شخص الدخول وسيفار هنا !

- أنا خائفة يا صديقتي

نهضت الأخيرة وربت على كتفي بلطف ثم احتضنتني بكل قوة ...

دق الباب بقوة مما أثار هلعي لوهلة قائلة :

- انهم هم لقد أتوا لاختطافي

تقدمت نيران نازعة خنجرها من طرف فستانها , ووقفت بجانب الباب صارخة :

- من هناك !

لترد عليها سيفار بصوته المتوتر:

- انها أنا ...

نزعت نيران التعويذة وفتحت الباب لتتقدم سيفار بكل سرعة محتضنة اياي حابسة دموعها بقوة ,قالت :

- لن أسمح لأحد بأن يلمس شعرة منك...أنت كل ما تبقى لي من عائلة

قالت الأخيرة مرتشفة دموعها :

- أمي أنا أحب كيان وأريد الزواج به بعد الحفل !

- أعلم ذلك يابنتي ...

في احدى غرف القصر

3 أيام قبل يوم الحفل

جلس مروان على ذاك السرير الطري وغفى بسرعة وكأنه لم يحظى بنوم منذ قرون , جفناه يحترقان كلهيب يدفعه اما للنوم أو الموت ,ليغمضهما دون وعي ...رغم أنه كان يجب عليه الذهاب الى كارولين كما وعدها قبل دقائق

لكنه استيقظ بفزع عند سماعة لشيء يخدش الباب , استعاد انفاسه بروية وتقدم ببطئ لكي يضع شيئا يحد بينه وبين الذي يوجد بالخارج

" من يعلم أي مخلوق سأواجه الآن "قال هامسا

دفع بكل قوته السرير لذي كان أخف شيئا في الغرفة ووضعه كقفل للبو ابة . على حين غرة رأى شرفة ...لم يراها سابقا " ربما لم يراها بسبب نعاسه الشديد"

تقدم دون احداث صوت نحوها رفع الستار الحريري , لتشتعل السماء بلون أحمر دموي ...كل شيء يحترق في الخارج صراخ وعويل ...لكن هذا ليس بقصر سيفار

" أين أنا ..." قال صارخا سعل وهو يكتم فمه و أنفه مانعا دخول الدخان الكثيف اليهم ويقتله ,التفت لينظر بعين متوسعة نحو الغرفة التي تحولت الى مكان آخر...طلاء مختلف ذو لون أزرق ومهد صغير في المنتصف ...لتدخل امراة متوسطة العمر ترتدي ملابس ملكية ...وضعت تاجها في الحزام الذي يربط خصرها

كانت تبكي وهي تحمل ذلك الطفل غير مدركة الى أين ستذهب فالنيران قد سدت جميع المداخل

أسرع مروان لها حيث أدرك فجأة وهو يتقدم بأنه في جسده الحقيقي مما زادا من غرابة الموقف

قال :

- سيدتي توقفي هناك سوف أساعدك , لا تتحركي

قفز عبر النيران نحوها صارخا لكنها لم تسمعه ,كانت على حافة الاستسلام وهي تحتضن الطفل والدمع يتساقط أملا أن يطفأ تلك النيران

لمس مروان كتفها لكنها لم تشعر بشيء كأنه لم يكن موجودا ,أدرك أيضا بأن النيران لم تؤثر به على الاطلاق

"مالذي يحدث معي ؟" قال محدثا نفسه

فجأة رفعت المرأة نظرها الى السقف الذي على وشك الانهيار لتصرخ بفزع ملقية بالطفل بعيدا ...سقط جزء من السقف عليها "لقد ماتت "

صرخ مروان باكيا وهو يضع كفيه حول رأسه فهذا قد ذكره بزوجته و ابنته

" أخرجوني من هنا أرجوكم.. ماذا تفعلون لي "

انكب على الأرض مانعا أذنيه من سماع الصراخ والنحيب باصبعيه ,ليشعر بشيء يعبر بجانبه ...انها فتاة شابة ذات ملامح لم تكن غريبة عنه

" انها عبير !"

- لقد أدركت ما يحدث هنا ,انها ذكرى ... ذلك اليوم الذي انتزعت فيه قوى السود

- لا تبكي يا أخي عبير معك الآن

اتبعهم مروان بسرعة لكنه سقط في منتصف القصر حيث كانت هناك حفرة عظيمة...

استيقظ والعرق يغطي جسده والدموع الغزيرة تنهمر من عيناه , عبير أيضا كانت هناك تنام بالأريكة , تنهد باسما ثم قال :

- ان كيان لشخص حقير لتركه اياك بعد كل الذي فعلته ...أتمنى لو كنت أملك شقيقة مثلك

ثم نهض من سريره مغادرا الغرفة ,حيث قابل الخادمات اللواتي ابتسمن عند رؤيته ,حتى أن احداهن أخبرته بأن كارولين قد ملأت جدران القصر حبا من شدة غنائها عليه."على كيان"

كان للقصر غرف عديدة لا يستطاع التمييز بينها , لم يعرف لأي مكان سيتوجه لكن نور القمر قد أنار له الطريق للخروج الى الساحة التي أصبحت بر اقة بشكل بديع خاصة ذلك الجدار الشفاف المبهر الذي انعكس شكله مع ضياء البدر

- مالذي تفعله هنا في هذا الوقت من الليل ؟

قال سيف ...حيث كان يجلس متربعا على الأرضية يتأمل السماء

- لقد راودني كابوس غريب...لا تهتم

صمت لبرهة ثم طلب منه الجلوس بجانبه ,فلم يلفظ بحرف واوما مو افقا ,أكمل مروان بعد جلوسه :

- هل تعلم بأن هنالك مسرحيات قد وضعت فكرة هذا الجدار المهيب في المستقبل

ابتسم سيف بهدوء , وقال :

- المرء يحتاج لدقائق من السكينة خاصة في هذه الأوقات التي تقبل العاصفة

صمت لهنيهة ثم أكمل بعد تنهيدة :

- ألم يخبرك كيان كيف سيختطفونها ..أم من سيفعل ذلك ؟

- لا ..للأسف ,فلم أمضي معه سوى يوم واحد حتى ليلة الحادثة

أخفى ملامحه الحزينة بابتسامة خفيفة ,ليقول مروان :

- ما علاقتك مع عبير؟ ,انها ليست بعلاقة عادية بين أقارب

ضحك قائلا بتعجب :

- هي لم تخبرك حتى الآن !

- لا ...

- انها زوجتي ...

" اوه !"

قبل 7 سنوات

سيف

أدعى سيف في العقد الثاني من عمري ,من أقارب العائلة الملكية للسود...كانت عائلتي هي التي تحكم احدى مدن الملك شمس ...

أنا الابن البكر لوالداي يتلوني اخ صغير توفي مع عائلتي في ليلة الخيانة الكبرى مرت علي أيام مظلمة جدا بعد تلك الحادثة أصبحت بلا مأوى وبلا عائلة بعد أن كنت أميرا ...أصبحت متشردا أنام تحت عيون السماء في الحقول حيث عملت لدى احدى عائلات البشر هناك دون أجر فقط سمحوا لي بالنوم في حقلهم وقطعة من الرغيف باليوم

الى حين ذلك اليوم الذي تلقيت فيه من احد السود بان ابنة خالتي "عبير" تخطط لافتعال مكيدة عظيمة بالملك اللعين ,فاشتركت فيها دون أي تفكير فالموت بشرف خير و أبقى من حياة الذل لدى البشر

وهكذا أصبحت أعمل مع السود من مدينتي دون أن أقابل عبير ولو لمرة ,كنت قد رأيتها لمرات متقطعة بين السنين لكنني لم أراها منذ ثلاثة سنوات الآن

فعلناها وسرقنا مركز المتفجرات من قصر المملكة بحد ذاتها ,كانت فكرتي فقد أخبرني والدي عنها لمرات عديدة "متفجرات ذات لون أزرق سماوي تستطيع تدمير متر كامل " يصنعها الملك بسحره الخاص

تفجيرنا لقصور النبلاء والعديد من المناطق كانت اعلانا لانطلاق ثورتنا ,لكن ...

الملك يامن كان قد علم بأماكننا بشكل ما و انتقم منا بشكل رهيب

داخل زنزانة صدأة هناك حيث قابلت عبير لأول مرة بعد كل تلك السنين كانت قد أصبحت نحيلة جدا ولكن عيناها وجمالها لم يتغيرا مطلقا ...حيث شعرت بشيء يتحرك بداخلي فوررؤيتي اليها تلك الليلة , لم أعلم ماهيته لكنه كان يدفعني للتقدم نحوها بأي شكل كان فقط لرؤيتها مجددا...

أوقعتني في حبها بتصرفاتها البطولية وعدم استسلامها حتى بعد الذي حدث لم نملك أي شخص غير بعضنا البعض , ففعلناها وتزوجنا بعد عام واحد من تلك الليلة نعيش في السراء والضراء

حبنا اخذ منحنى رائع بعد عامين, أنجبت عبير ابنتنا " نجمة" التي أضاءت بلمعانها حياتنا ونسينا بسببها جميع الأحداث الحزينة , وبدأنا رحلة من الأمل السعادة والبهجة حيث بنينا منزلنا الخاص في منطقة منعزلة ,زرعنا حقلا بسيطا يكفي قوتنا لليوم ولا نذهب الى المدينة سوى نادرا .

أحببنا تلك الفتاة وجعلناها أميرة في منزلنا المكون من غرفة واحدة , تخيط لها عبير الدمى وأصنع لها الجنود الخشبية التي نهتني عبير دائما على صنعهم لفتاة صغيرة

في اليوم الثاني من شهر يوليو ,استيقظنا على طرق قوي على الباب ,حملت خنجري وخرجت لأرى جنود الملك يامن يجبروننا على الذهاب معهم الى القصر

وضعت عبير ابنتنا في لحاف بسيط و انطلقنا نحو المدينة

أنفاسنا تتصاعد مع كل خطوة للأمام نحو الملك , قال بابتسامة فور رؤيتهم :

- أرى أنكم أنجبتم طفلا من صلبكم , لقد شعرت بذلك

لم ننطق بحرف ,فأكمل :

- قوتك يا ثورية قد انتقل جزء منها الى طفلك ...لا أستطيع المخاطرة بذلك

قالت عبير وهي تشد على ابنتنا بقوة :

- مالذي تعنيه ؟... لا !هذا لم يحدث , لقد سلمت لك قوتي كلها في تلك الليلة

- ذلك ما أعرفه ,لكن بطريقة ما فابنتك تحمل جزءا من قوتي ويجب علي اخذها

- مولاي...الرحمة يا مولاي انها ليست سوى طفلة ذات سنة واحدة من عمرها

بيديه العاريتان جعل ابنتنا تطفو في الهواء تصرخ خوفا والدموع تتساقط من عينيها وأعيننا جميعا , أمسكت بعبير مهدئا فقد اعتقدت بأن الأمر سيكون كما حدث لعبير سيأخذ قوتها وينتهي الأمر لكن...

فورانتزاع القوة ابنتنا تلاشت وأصبحت رمادا لامعا يتناثرعلى الأرض

- لا هذا لم يحدث ,ابنتنا لا تزال بخير

نزلت راكعا على الارض أتحسس ذلك الغبار اللامع ودموعي محبوسة ,قلت له :

- مولاي ,لقد أخذت قوتك أين هي ابنتنا

أما عبيرفقد كانت تبكي فاتحة فمها صارخة بصمت , انعدم صوتها و انتزع قلبي من مكانه

صرخت ثم صرخت ثم صرخت...وقفزت حاملا خنجري قتلت جنديان منعاني من الوصول ليامن الى حين وصلت له حيث تجمدت حواسي كلها وأحسست بشيء يجرح ذراعي ...ينخرعظامي من الداخل , لقد رأيت الموت على شكل ابنتنا التي اسود المكان ولم أرى سواها مع وجهها الباسم تضحك

عيوني قد ابيضت , لينتهي الحلم فجأة وأسقط على الأرض بقوة نظرت ذراعي لأراها كتبت عليها " أنا موالي للملك يامن " والدماء تتسلل من كل مكان منها ...

مرت الأيام وأصبح ذلك البيت تعيسا وتلك الأشجارذبلت وأصبحت سوداء ...عبيرلا تتحرك من جانب النافذة ,و أنا دائما أجلس على الأرض أعاقب نفسي بضربي بالحجر حتى يغمى علي

- أيها اللعين لقد كنت هناك ولم تفعل شيئا ..لقد تركتها ترحل

أصبحت مخمورا وحطمت البيت في ليلة , لتنتهي قصة حبي مع عبير...

ساحة القصر

كانت دموع مروان تتساقط بغزارة لم يتحمل قساوة القصة وشعر بالذنب يقطع شر ايينه , أهو الحزن على ابنته أم الذنب على زيادة هم عبيروسيف همان

لم يتوقف على البكاء لدقائق كان قلبه يعتصر حزنا ,تلك المرة الأولى التي يبكي فيها منذ حادثة الطائرة

أما سيف فقد كان مغمض العينين يحاول نسيان تفاصيل وجه ابنته التي لم تفارق ذهنه في كل مرة يغلق فيها عيناه

ظهرت أمامهم نيران فجأة ترمق سيف ,قالت :

- كيان ان الأميرة تود رؤيتك فورا !

خاطبها سيف بتعالي :

- مسرور برؤيتك أيضا يا نيران

لقد كانا صديقين عزيزين في الطفولة لكن ما حدث شوه الذكريات السعيدة

نظر مروان الى نهاية الرواق حيث كانت كارولين بعينيها المتلالئتين تنتظر قدوم لتغلق البو ابة , أكمل طريقه فعانقته بكل حزن وخوف هامسة :

- أرجوك لا تتركني مجددا

دخل مروان الغرفة بقلب حزين يفكر في ما سيقوله لها :

- هل سأخبرها بأنني لست كيان

- لكن ذلك سيحطم قلبها ويزيد الطين بلة

- لا ... لن أخبرها

قالت له كارولين وهي تربت على شعره بحنان :

- أين كنت طول هذه لمدة

- لقد طال شوقي لك يا أميرتي

ضحكت بصوت عذب ,وجلست بجانبه ضامة يديه :

- و أنا أيضا يا أميري

التفتت اليه على حين غرة وقالت بصوت حازم :

- هيا نهرب الليلة !, أنا لدي الاذن لفتح البو ابة الخلفية ...نذهب الى المجهول كما وعدتني

- لا !

قال مروان بصوت مرتفع مفاجئ , ثم أكمل بهدوء :

- لو أننا سنخرج من هذا القصر سنسهل الأمر على يامن ونجعل طريقه يسيرا

- أنت حقا لا تعرف أخي يامن ,رغم كل تلك السنوات من رفقتك له

- رفقتي له ؟

- أنسيت ؟...

ضحكك مروان بفزع :

- لا ... بالطبع لم أنسى

تنهدت ووضعت رأسها على كتفه قائلة :

- لو أراد يامن القدوم لوجدته الآن هنا امامنا...قوته الآن تفوق والدتي ,الجميع يدرك ذلك لكن يرهبون قولها

أكملت :

- هل يمكنك أن تغني لي ...ان صوتك لهو المهدئ الوحيد

الأميرة الصغيرة

عاليا في جبال الشمال ... وجدت مملكة غريبة

تحوي كل الكائنات...وكل زهرة عجيبة

يتقاتل الملوك بالشعوب...والشعوب في رهبة وحيرة

أين أنت يا بنيتي ...قالت الأميرة

لكن الى غبار الطفلة تحولت ... وفي الحزن أميرة أسيرة

الحرب بداخلها انتهت ... وأصبحت دون شخص أو بصيرة

***

High in the mountains of the north ... I found a kingdom

Every creature is there... and every beautifull blossom

The kings fight with people ...and the people are afraid

Where are you my child...the young princess said

But to a dust the girl went...and the sadness the princess contains

The war inside her is done ...and she left in the end with no one

في هدوء الليل ومع الصمت الذي يسود غرفة كارولين بعض الضجة بدأت تبرز رويدا رويدا من قفص العنقاء ومن احدى صناديق الأميرة الخشبية

جفون الجميع فتحت على صرخة مدوية علت في أرجاء القصر, الجميع يركض ...خدم...حراس ...حتى الملكة سيفاريتبعها حشد من المستشارون

كانت تتمنى ألا يكون الذي في شكها قد حدث

- أهي كارولين !

قال مروان عندما أدرك عبيرتركض مصفرة الوجه يتبعهما سيف ومجدُهان الذي استيقظ لتوه, توقفت أعين الجميع على حشد صامت ينتظر ما ستفعله الملكة تجاه الذي يحدث أمامها

الأميرة ...رجلان ضخمان ذوا ملامح مخيفة تعلوهما بسمة خبيثة وهما يحملانها بين جناحيهما الرماديان وريشيهما يتضخمان ليعيقا حركتها أكثر فأكثر

قالت سيفاربيد مرتعشة :

- لدي ما تريدون ...الذهب !, أستطيع تحرير شعبكم ...سأجعلكم ملوكا على الأرض أتركوها فقط

- نحن لا نخون عهدا قطعناه

انحنوا بتباهي قائلين :

- مولاتي المللكة

بقي مروان يحدق في خشية من أن يفعل تصرفا متهورا , أما بيرفقد كانت تقارب على الاغماء

قائلة كارولين بعين غزتها الدمع :

- أمي ...

القت سيفاربسرعة تعويذة عليهم لكنهم اختفوا ولم تفلح كان الأوان قد فات والأميرة اختطفت والنبوءة تحققت...

الجميع ابتعد عنها خشية فشرارات الغضب التي تعلوا عيناها قد تحرق الكون في لحظة , رمقت كيان المندهش قائلة :

- أقسم بالذي خلقني أنني لن أترك ذلك يحدث مجددا

وأكملت في سيرها نحو خارج القصر مزيلة تعويذات الحماية التي تعلو البوابة وسط نظرات الحراس المرتعبة ,فلم يرشخص الجانب المظلم لسيفاريوما . اعتادوا على شخصيتها الباردة الوقور

وضعت يديها على التاج الذي يعلوا شعرها المشتعل والقت به على الأرض صارخة بصوت أخاف الجميع

" يامن !"

أكملت هامسة :

- كل هذا بسببي ... النبوءة ستتحقق وسأخسر ابنتي ,سأخسر كارولين بعد كل الحماية التي منحتها اياها كل تلك التعاويذ ذهبت سدى بسبب سهوة مني

بخطوات هادئة يدخل الملكة قاعة العرش حيث ينتظره ضيفان قد ظل ينتظرهما منذ ساعات ,فقال بصوت صارم :

- هل فعلتما ما طلبته !,هل انتهى الأمر؟

قال أحدهما :

- نعم يا مولاي , كل شيء قد حدث كما خططت له

رد الآخر:

- هل... هل ستعطينا ما..

أكمل بعد ابتلاع ريقه هلعا :

- هل ستعطينا ما أردناه ؟

جلس يامن على عرشه المصنوع من الزئبق حيث يعتقد بأنه سيحميه من أي المخلوقات الخفية كالجان ,ثم قال :

- نعم ...لكن

- لكن ؟...لكن ماذا يا مولاي

رفع اصبعه مشيرا الى ساعة رملية لم تكن هناك عند دخوله ,لقد أظهرها بسحره ...ثم قال :

- أتريان حبة رمل في الجزء العلوي ؟

نظرا بفزع ,تقدم الأول بخطوات متسارعة وقفز مصوبا سيفه الحاد نحو الملك ليتحول الى رماد فوررفع يامن ليديه بصرامة ...رماد وحسب

بصوت أفزع أرجاء القصر صرخ الثاني الأخ الأصغر"حميد " غضبا على الخيانة التي تلقاها من الملك ...لقد كان شيطانا يتجسد مع أفعاله ..

" أنت الشر !"

قال حميد وهو يشاهد نصفه السفلي يحترق...

قصر الملك يامن

في مكان لا يعلمه أحد

في غرفة ذات شعلة واحدة تنيرها كانت هنالك فتاة حسناء نزعت عليها زينتها وحليها والأهم من كل شيء تاجها الذي يحميها من أي لعنة , مكبلة الأطراف الأربعة وينسدل شعرها الأسود المبتل بمادة بيضاء على وجهها يمنع عنها الرؤية

يدور حوار بين الحارسين ذو نفس الوشم على معصميهما " دائرة بداخلها خطين متقاطعين يشكلان علامة x بلون أحمر لاذع " تحاول الأميرة استراق السمع نحوهما ,قال الأول بلهجة غريبة عن أهل مملكة النرد :

- ان الملك لجبار وذو عقل مخيف , كيف له أن يتغلب على أدهى ملوك العالم

- أنت لم ترى ابنته الصغيرة بعد "قمر " انها لعبقرية تلك الفتاة تستطيع السفر لأي مكان عبر خارطتها , لقد حاولت اتباع الخريطة ذات يوم وأدت بي المجاري الى المجهول حيث لعن "أهل قيصر "

- من أي مدينة أحضرتَ ؟

- مدينة عربج , ماذا عنك ؟ , أعتقد بأن لهجتك تماثل لهجة أهل هذه المدينة

- بالتأكيد , أنا قد حرست في هذه الزنزانة منذ كنت في سن السادسة عشر حيث ولائي كان ولا يزال للأبد تاما للملك يامن ..شخصيات ثرية جدا حبست هنا لكن مثل هذه أنا لم أجد شرفا أكبر

- أهما من نفس الأبوين , أم أنهما ربيبين !

- شقيقين من نفس الرحم ونفس الأب , لكن الذكر اختار الحرية والأنثى اختارت أن تبقى سجينة مع تلك النرجسية

- غريب حال العائلة الحاكمة...

وقف أمامهما الملك يامن فجأة ليخفضا رؤسهما المرتجفة مخفيان عيناهما اللتان تلالاتا بدموع الرهبة والخشية

- مالغريب في حال العائلة الحاكمة ؟

- م..مولاي ؟

- لا تخف تحدث معي ناظرا عيناي

رفع جندي مدينة عربج عيناه بحذر ثم أعادهما بسرعة شديدة ,ليمسك وجنتيه بقوة هامسا في أذنيه :

- لقد أحضرتكما هنا للحراسة ليس للدردشة

قال الجندي الآخر عندما أدرك بأن الملك سيقتل الآخر بسحره :

- العفو يا مولاي إنه لجندي جديد قد جاء منذ ساعتين فقط ولم يدرك ما فعله

تنهد الملك ونزع يديه ببطئ مستعيدا رباطة جأشه ثم أمرهم بفتح البو ابة ذات العشرة أقفال...

دخل باسما وفي قلبه شوق وحنين أراد انتزاعهما بالقسوة التي تحكمه ,لكنه لم يستطع أن يكافح مشاعره ويحافظ على جبروته

ابتسم وبدا يتحدث بطريقته النرجسية التي اعتادت أخته على سماعها منه دائما :

- أختاه هل اشتقت الي ؟

رفعت رأسها لتلمح منه شيئا لكنها لم تستطع ,فباعد شعرها عن عيناها بهدوء كان يود لو يلمس وجنتيها ويحتضنتها بقوة شديدة لكنه وقف بسرعة مقاوما استعادت كارولين قليلا من بصرها لتراه أخيرا ..وتسقط دمعة من عيناها قائلة :

- لماذا ؟ . ألهذا الحد تكره الدم الذي ربط بيننا

- ان هذا وضع مؤقت أنا أعدك , ليس لدي ما أفعله بك ...غايتي هي الحصول على حقي الشرعي . أهذا شيء صعب

صمت لهنيهة ثم أكمل :

- لو أن والدتنا تنازلت عن حكمها في ذلك الحفل لما حدث كل هذا , أتذكرين ذاك الحفل الجميل

- ومن ينسى ذاك الحفل المبارك يا أخي الغالي , لما سيغيب عن ذهني يا ترى ..لو أنني لم أقاوم

- جميع الحكام تكون لديهم السلطة في ذاك السن .. الا أنا , أتعلمين لماذا ....لأن تلك المرأة لم تسمح

- لقد خشيت عليك أن يؤول حالك إلى هاته الحالة التي تراها عيناي الآن , وقد تأكدت بأنها كانت محقة

قال ساخرا :

- ابنها الصغير ! , ألم تدرك بأن ابنها كان يموت كل يوم ...لم يعلم أحد بأن روحه كانت تتآكل مع التجاهل

- لا تمثل تلك المسرحية علي , مسرحية الولد البريء اللعين ...لقد سمعت الأغاني التي يقصون فيها قصتك المزيفة لكل شيء

- أنتِ من بين جميع الخلق تقولين لي هذا !. أنتِ تعلمين بأنها القصة الحقيقية فلا تتلاعبي بعقلك , تذكري الأحداث وستجدين بأنها القصة الحقيقية التي لم تجد من يسردها في ذاك الوقت ...

قبل سنوات عديدة

قبل يومين من احتفال بلوغ الملك

العالم في فرح وبهجة الآن , البعض متشائم ولا يود أن ترحل الملكة سيفار على مقاليد الحكم فلم تجد المدن رخاءا ولا سلاما مثل الذي بين يديهم الآن مع "سيفار" , لكن البعض الآخر يودون الأصل "الرجل يحكم والمرأة تربي " وسيحكمهم الرجل أخيرا "الابن البكر للملك فارس"

في أنحاء القصر نرى شابا ذو ملامح وسيمة"يامن" يبارز بالسيف مع مدربته وصديقته التي تضاهيه سنا " نيران" , ليقول بصوت لاهث عندما أدرك بأنه سيخسر:

- لا تحرجيني أمام الخدم وسأعطيك ما تريدين

ابتسمت وقالت :

- كن رجلا ودافع عن نفسك ستصبح الملك بعد غد يا مولاي

- عزيزتي لذلك لا أود أن يقال "ملكنا قد قضت عليه فتاة "

لتسقط نيران مع أول ضربة تلقتها من سيفه الخشبي , لتنتشر التصفيقات بأنحاء الساحة من خدم وحكام قد جائوا لحضور المراسم

ابتسم شاكرا ومد يده نحوها مساعدا اياها الوقوف , رأى والدته تشاهده من شرفة القصر ليشير لها فخورا فصفقت له بخفة ضاحكة

انطلق الشابان في السير دون وجهة كعادتهما بعد كل مباراة يخوضانها ,قالت نيران :

- عليك بالتركيز على معصمك يبدوا بأنه لم يشفى من المرة السابقة , والدتك تستطيع علاجها كما تعلم

- لا أريد منها أن تقول بأنه صبي مدلل لم يستطع أن يقاوم ألم كسر

- كان يجب عليك أن تأخذ حقك من سحر والدك أنت وكارولين , ستصبح حاكما عظيما به

- لا أحتاج سحرا لأجعل الناس ترهبني , وكما أخبرتك في المرة السابقة لا مزيد من الحديث عن موضوع السحر, لا أريد تعكير صفوة هاته الأيام

- أمرك مولاي

نظر اليها باستغراب لتقول له هامسة :

- والدتك ...والدتك هنا

- كيف حال الملك ؟

قالت سيفار, ليرد عليها الأخير باسما :

- الحمد لله يا مولاتي

- ماذا عن ابنة المحارب "سليم " , أرى بأن مهارات يامن قد تحسنت بشكل كبير بسببك .شكرا لك سيتم مجازاتك عما تفعلينه بشكل جيد يوم الحفل

- العفو يا مولاتي لم أفعل سوى واجبي ,الأمير قد ورث صفات والده الحربية

- فليرحم الله روحه الطيبه

طلبت الملكة الخروج مع الأمير في نزهة خارج القصر لتسرد عليه خبرا قد اتفقت عليه مع اخيها " سليمان "

همست له نيران بخفة وهو يسير:

- ابق هادئا

- ماذا ؟

لم ترد علي و أكملت في مشيها تاركة اياه في غموض

بعد دقائق خرجت العائلة الحاكمة من في نزهة من القصر, قالت سيفاروهي تغلق ستار العربة :

- أولا لا أريد منك أن تغضب أو تتسرع ,فقط أجبني بالحقيقة التامة

- ماذا يحدث ؟

- الأمر يخص والد نيران , الطيور قد أخبرتني بأنه ينوي انقلاب مدينة النرد لتكون ملكه ومن ثم سيقوم بضم المدن الأخرى ...

لم يرد يامن , فأكملت :

- لاحظت مر افقتك الدائمة لها , ألم تخبرك بشيء ..بخصوص الحكم ربما

قال بتسرع :

- لا , لم تفعل

- لقد تشاورت مع سليمان على أمر سيسير الأوضاع بشكل مؤقت الى حين معرفتنا حقيقة هذه المكيدة

- أنت لن تنفيهم للمجهول !

- بشكل مؤقت فقط مع حمايتي عليهم بالطبع

- ما ستفعله حمايتك مع مخلوقات ذاك المجهول , فلتنفيه وحده ...لما عائلته ألا تعلمين بأن ابنه الأصغر لم يتجاوز العامين بعد

أشار الى كارولين الصغيرة التي تقرا كتابها في صمت , وأردف :

- ماذا لو أخبروك بخبر نفيي ونفي كارولين الى المجهول , أكنت ستسمحين بهذا !

- أنت لم تخطط لعمل انقلاب على الملكة

- وهو كذلك لم يفعل

- سوف أفكر في الأمر...فلتنسى ما قلته واهتم بمراسم تتويجك

غاص يامن في ذكرياته يستذكر طفولته البائسة دون أب ...والدته دائما مشغولة وأخته لا تزال رضيعة ,لم يشعر يوما باهتمام شخص له قبل أن تأتي نيران الصديقة التي حظا بها في حياته فالأطفال كانوا يرهبون اللعب معه فان سقط عاقبتهم الملكة حتى وان كان هو الظالم ضُربوا بشدة من آبائهم

في منتصف الليل كان الأميريقرا رو ايته المفضلة لتدخل عليه نيران من الشرفة بعد طيران دام لساعات بهدوء شديد , قال لها :

- ألا تعلمين بأن الناس نيام ؟

- مالذي تقرأه ؟

- جم...

قاطعته قائلة وهي تقفز الى السرير:

- ممل جدا ... هل تريد الخروج من هنا ؟

- اعتقدت بأنك ممنوعة من الطيران هذا الشهر

- ومن يهتم ؟ , السماء صافية الليلة كما تعلم

- هيا...

خرجوا نحو الشرفة تحولت نيران الى شكل السود الأصلي بجناحيها الكبيرين امسك بهما يامن فانطلقت الأخيرة بسرعة شديدة نحو سماء الليل اللامعة

السماء... المكان الصامت الذي يشعر به يامن بالسلامم دائما ..يرى البدر اللامع يسقط نوره على السحب القليلة والنجوم تتر اقص حوله ببهجة , قال يامن :

- شكرا لك ..

- ولم هذا الشكر؟

- مؤخرا أصبحت أشعر بأنني محبوس يا "نيران" ! ..فقط روح ضائعة بين جدران القصر

تساقطت دموعه فجأة ففزعت نيران , أردف :

- أتمنى أن أهنا للأبد حيث لا توجد اي من المدن...او السلطة أو..أو حتى سيفار

- هل فكرت يوما في الهرب من القصر؟ ...أنت تستطيع رفض الحكم ان أردت ...وسنذهب معا الى اي مكان

- أنت لن تفهميني أبدا ...لن يفهمني أحد

- مالذي تقصده ؟

نزع يامن يداه عن جناحي نيران وأغمض عيناه تاركا نفسه يسقط في الهواء , النسيم يرتطم بجسده

تهمس الأفكا في ذنه " سنتهي كل شيء , لا ظلام ول وحدة ..لا استهزاء ولا مشاعر ولا سيفار.سيفار.سيفار"

يغلق عينيه دون خوف جميع أعضاءه مرتخية الى حين شعر بشيء يرتطم بالأرض غير نفسه ,يشعر بيدين دافئتين تتحسسان كتفه ...

ليستيقظ في فزع ...

الحفل الراقص

دخل الأمير بحلته المبهرة التي جعلت بعض النسوة تفتحن افواههن تعجبا ،لقد زادته وسامة " أم ان سعادته من هذه الليلة قد فعلت "

بدأ العزف على الموسيقى فباشرت الثنائيات بالاجتماع للرقصة الأولى تقدم الأمير نحو والدته وقبل يدها بحنان داعيا اياها للرقص معاها ، ابتسمت و قد كان بداخلها خشية من الذي سيحدث في تلك الليلة

بدأت الأجساد تتمايل في سعادة وحماس النسوة تتقدم الرجال وفي المنتصف بقي الأمير ووالدته ،ليقول وهو يتطلع الوجوه العديدة :

- ألم تري نيران اليوم ؟

- تم تنفيذ ما أمرت

- أنا لم آمر بشيء..

صمت لبرهة ثم أكمل :

-أنت لم تفعلي !

أومات له بهدوء وضغطت على كتفه محاولة منها لتهدئة روعه لكنه كان قد اشتعل غضبا وحتى أنه حاول دفعها صارخا ، لقد كان مقررا أن يخبرها بمشاعره تلك الليلة بعد توليه للحكم وتصبح فرحته فرحتين ،لكن آماله تحطمت مع كلمات امه

- أهكذا تمارسين ألعابك الخبيثة ! , تخفين جانبك المظلم أمامهم

صرخ في الجميع :

- أنا لم آمر بنفي عائلة المحارب سفيان , جميعنا يعلم بأنه لن يخون المملكة

تطلع في وجوههم راجيا لكن لم يرد عليه أحد ,فأردف :

- اللعنة عليكم يا بشر !, تبا للحكم ان كان هكذا

تراجعت سيفار خيبة نحو عرشها جلست على العرش وقالت :

- الأمير لم يختر القرار الصائب , حضرة الحكام الخيار خياركم الآنن

نظر نحوها يامن في حيرة فردت :

- في تقاليد الحكم يقام اختبار بسيط على الأوريث ليتم معرفة خياراته وما سيصنعه في القرارات الصعبة ،اختبار لا يعرفه سوى هؤلاء الذين في الغرفة ولم يخرج منها يوما ...لكنك يا بني "خسرت!"

أومات للحراس ليفتحو الباب فدخلت عبره عائلة المحارب سفيان بمن فيهم نيران التي بقي الأمير يحدق بها في صدمة من أمره :

- كيف تفعلين هذا بي!

- حضرة الأمير أنا لم أستطع مخالفة الأوامر المعطاة لي ، أخبرتك بأن تكون هادئا لكنك لم تفهم قصدي

قالت سيفار بصوت حازم جهوري ؛

- حكام المدن حان وقت الاختيار ! , وتذكروا لقد أقسمتم على الاختيار الصادق دائما

كل حاكم اطلق شعلة من أصابعه بعضها كانت بيضاء ولكن تغلبت الحمراء عليها ، بقي الأمير و اقفا هناك في حالة من الذهول والصدمة

رمق والدته ثم قال ر افعا سبابته :

- اختبار كهذا لن يحدد قدرتي على السلطة. وسترين ...

وفي خطوة مفاجءة تقدم مجموعة من الحكام ووقفوا وراء الملك يامن , قال أحدهم :

- نحن مع الملك , والملك من سيحكم

قال آخر موجها حديثه نحو يامن :

- مولاي ان أردت نقتلها !

نظر له يامن بحد عينه ثم أعاد نظره الى سيفار بخبث , أوما ببسمة خفيفة

الجميع التقط سيوفهم ووجهها نحو الآخر بدأت بعض المبارزات الشديدة بالسيوف ,أما يامن فبقي يقف بالمنتصف يحدق بوالدته بلؤم

صرخت كارولين بقوة شديدة , قالت :

- يامن ستجلس على هذا العرش ! لكن ليس اليوم , لقد حلمت بذلك. ما تفعله الآن قد يهدد حدوث ذلك

رمقها يامن بغضب فهو يعلم بأن كارولين لا تكذب على الاطلاق , رفع يده نحو الحكام وجنودهم قائلا :

- حلم أختي سيتحقق يا سادة مهما طال الزمن . فلنتركهم في سلام اليوم ,لكننا سنعود

خرج عبر البو ابة بسرعة شديدة فتبعته نيران لتوقفه في منتصف الطريق المؤدي الى خارج القصر،قالت :

- آسفة

توقف يامن ومعه الحكام , فاوما لهم كي يتركوه لدقائق :

- كان بامكانك أن تخبريني ،أظل معك طوال اليوم بحق السماء !

-لم يكن خطأي بل خطؤك بذاك التصرف المتهورجدا ! أمام حكام جميع المدن ،وماذا لو نفيت أنت تدرك بأنني لن أموت هناك .كيف و أنا محروسة بحراس الملكة ! , ليس ذلك فقط أنا من السود ..

مد يده نحوها وقال :

- انها فرصتنا لبداية جديدة , أستكونين معي في تلك البداية

حاولت الأخيرة ضم يده لكنها توقفت بفزع :

- لا أستطيع فعل هذا حضرة الأمير

أعاد يده ضاحكا والدموع تتساقط من عينيه اللامعتين :

-ماذا كنت ستفعلين لو كنت مكاني ؟

- كنت لأرضى بقدري

- ماذا لو كنت تحبين شخصا لا يبادلك الشعورعلى ما يبدوا

- ماذا تقصد بحديثك ؟ !

- يمكنك أن تدركي بنفسك

نادته لكنه لم يلتفت ,فقالت هامسة :

" وداعا "

خرج الأمير من القصر وتبعه تسعة حكام راكضين وراءه بشغف للسلطة ، كانوا يدركون بأنهم لو جمعوا قواهم ووضعوها في ذاك الصبي المعجزات ستحدث فهو ابن سيفار! وزوجها المغوار،لابد أن يرث قوة سحرية رهيبة

وذلك ما حدث جمعت القوى ووضعت في جسد أقوى الحكام الذين عرفتهم وستعرفهم الأرض ،وبدأ رحلة في محاولة أخذ الحكم بالقوة ليلملك بذلك 8 ممالك منها "مملكة شمس ،النرد ... " سوى المدن التي حمتها سبفار هو لم يستطع مضاهاتها بعد ولكنه سيفعل يوما ما

ولكن قلبه سيبقى متوجها دائما نحو التي سحرت كيانه وجعلته عاشقا " نيران"

الحاضر :

لم تحظى المملكة بيوم هادئ كهذا منذ جنازة الملك الاوجه مسودة بظلام كئيب يوحي بالخيبة ، أما سيفار فهي تحاول التواصل مع ابنتها او ابنها بأي طريقة عبير ومروان وسيف يجلسون متقاربين مع خوف غريب يسودهما ،خصوصا مروان الذي شعر أنه سبب حدوث ذلك بطريقة ما

قالت عبير :

- هل ستعاد اللعنة مجددا

- أظن أنني علقت هنا رسميا في هذا العالم

- نعم يا رفيقي لقد علقت .الفتاة ستقتل الأم ستجن وسنرحل مع غضبها

بقي سيف صامتا يغوص في غضب كبير ،فنادت عليهم سيفار فجأة لتنخض اجسادهم فزعا

دخلوا قاعة الملكة لتبدأ الأخيرة في الحديث مباشرة ؛

- اللعنة يا كيان قد تحققت ،ألم يخبرك بأي مفتاح يدلنا على وضع ثغرة أفضل من التي لدي ؟

- لا على الاطلاق ...مولاتي

نادت على نيران التي كانت تقف بجانب العرش لتتقدم بسرعة نحو الأمام منحنية باجلال ،لأردفت الملكة :

- لقد كان واجبك حماية الأميرة ويجب عليك تصحيح فعلتك ..الجميع يعلم قصتك مع ذلك الشخص فستكونين بذلك ثغرتي

- سأفعل أي شيء لتصحيح غلطتي جلالتك

- أتمنى أنني لم أفعل هذا في الجانب الآخر...

بدأت الأصوات تتعالى أمام قصر الملك يامن ، حيث جاءت امراة و بدأت في الصراخ باعلى صوتها " تريد مقابلة الملك سريعا "

فتح يامن عيناه مفزوعا ارتدى ملابسه وخرج بعين نصف مفتوحة للرواق حيث قابله رفيقه "سيف" , قال :

- بحق الجحيم من هي التي تصرخ !

قال المستشار؛

- انها امراة من سيفار تحمي نفسها بسحر ما وتواصل العويل هكذا منذ ظهرت

لمعت أعين يامن بحب :

- أقلت سحرا لتوك !

لم يترك الرجل يكمل كلامه و انطلق نحو الخارج راكضا معتقدا بأنها والدته فمن يستطيع افتعال السحر غيرها بعد الآن

ابتسم وفتح اقفال البو ابة قائلا :

-انه حقا أسعد يوم في حياتي

التفتت اليه في حزم فتغيرت ملامحه الى شيء من الضياع المليء بالشوق وعيناه توسعت فجأة

- أنتِ !

- لقد مر وقت طويل حضرة الأمير

يسير الملك بارتباك لم يشهده خدمه يوما تتقدمه نيران بفستانها الأزرق الذي يصل الى ركبتها مع حذاء جلدي بني , تضع سلسة فضية صغيرة تنتهي بقلب فضي صغير به شيء عزيز على قلبها

أغلق الباب بصرامة وقال وهو يلتفت يمينا غير راغب برؤية ملامحا عسى أن يهدئ ذلك من قسوة نبضات قلبه التي بدأت تصيبه باضطراب :

- مالذي تفعلينه هنا ؟

- كلانا يعلم السبب

- هل اعتقدت بأنني سأتركها ترحل مع محاولة تافهة كهذه , لن يحدث ذلك

- ألن تنظر الي حتى ؟

صمتت لبرهة ثم أكملت :

- ملك الملوك يخشى رؤية امراة من بني السود

التفت لها في تردد وتنهد بصعوبة شديدة كان يعلم بأن أقل كلمة يقولها ستسبب له الاحراج امامها ولا يود أن يحدث ذلك مع معشوقته وحبه الذي لم تدفأ شعلته يوما

- أنا لا اريد ايذائك , يمكنك الرحيل في سلام يا ... أنتِ

- أنتِ... أهذا اسمي الآن يا ملك

كانت ترغب أن تقفز اليه وتعانقه عناقا يدوم 10 سنوات لم تراه فيها فهي الأخرى حلمها تحطم في تلك الحفلة, الجميع كان يعلم بأنها ستكون زوجته والملكة يوما ما لكن الو اقع كان الموجة التي دمرت هدوء المحيط

- ل..لدي رسالة من والد.. من الملكة سيفار تحتوي معاهدة أتمنى أن تو افق عليها

- هل تمزحين معي !.معاهدة ! , لن يحدث ذلك و ابنتها سوف تقتل عاجلا أم آجلا مع اصرارها المتهور

- أنا لن أرحل من هنا بدون جلالة الأميرة لقد أقسمت بأنني سأحميها بكل ما أوتيت من قوة , لكنك تلاعبت بعقول الجميع بتلك الخدعة

ابتسم بفخر ثم قال ساخرا :

- لقد كانت رائعة هه

- ذلك رأيي ايضا لولا أنها كانت بالجانب الخطأ

ساد الصمت بالمكان وبقيت نظراتهما تسرد حوارا مليئا بالشغف والشوق مع بعض الحسرة عما يحدث في تلك اللحظات

مد يده فوُضعت الرسالة على كفه ملفوفة بشريط كستنائي اللون مع ختم الملكة عليه الذي كتب عليه " سيفار" باللغة القديمة ووردة ذات أشواك على غصنها تماما كالتي رسمت في قاعة القصر الآخر

نظر لها بتعجب وقال :

- كيف لك هذا السحر

علت شفتيها بسمة خفيفة فأردف :

- لا عليك

- يمكنك قتلي أنا ايضا اذا أردت فلست سوى رسول بسحر خفيف جدا سُلم بغاية الحماية

خرج بصمت وأغلق الباب بقوة لتخرج تنهيدات قوية من شفاهيهما , سقطت نيران على السرير بساق مرتعشة ووجنة محمرة لم تعتد عليها أما يامن فقد أسند ظهره على الباب للحظات ثم انطلق نحو قاعة المشاورات حيث كانت بها ضجة عظيمة انتهت فوردخوله الحازم ...جلس على العرش ثم قال :

- حضرات الحكام هذه الرسالة التي بين يداي تحمل أخبارا سعيدة ...ربما لن تعجب بعضكم

صمت لهنيهة ثم أكمل :

- الجميع أراد أن أكون بعد هذه الأيام الملك الوحيد في هذه الأرض , لكن .. علينا أن نرضى بالقليل أفضل من أن نخسر كل شيء بين يدينا...

فتح الرسالة وبدأ يقرأ بصوت جهوري

من الملكة سيفار الى ملك المدن الثمانية يامن بن فارس

بعد مشاورات عديدة اتفقت والحكام "جاسم مدينة نصره " "ربيج مدينة العيون الثمانية " " بلال مدينة غرب سيفار" على أن نسلمك هاته المدن الثلاث في مقابل الحصول على الأميرة كارولين بنت فارس حية وبتمام العافية .

أما بعد ,فيما يخص حارسة الأميرة نيران بنت المحارب سليمان فهي هدية لك لتكون حاميتك في السراء والضراء

واذا لم تقبل الصلح فالحرب هو الخيار الوحيد لفصل الأمور بشكل خاتم , سنعطيك مدة سبعة أيام لاعطاءنا قرارك

- ما هي آرائكم

قال حاكم مدينة كتيب :

- مولاي ان الملكة قد أعطتنا خيارا زهيدا لكنها في النهاية تركت في سلطتها 22 مدينة أهمها " حوجل " التي ان حصلنا عليها سنستطيع ارباح تجارتنا بخيراتها

أما نصره وغرب سيفار فخيراتهما قليلة وحسبما وردت الأخبار يبدوا بأن الرياح العاصفة القادمة ستؤدي الى نزع جميع محاصيلها وقتل جميع حيو اناتها

قال رستم ملك مدينة بعل :

- جلالة الملك أرى بأن الخيار الصائب أن نتبع السبيل الأسهل فنحن أخيرا قد حظينا بسلام وهدوء بعد كل تلك السنوات من الحرب والتقتيل , كما تعلم السحر لا يعيد الموتى الى الحياة

ساد الصمت فالبقية كانوا ذوي آراء متقاربة للر أيين السابقين , ربط يامضن لحيته كما يفعل عادة عندما يغرق في تفكيره ثم نهض دون قول كلمة يتبعه سيف أينما يذهب

داخل قصر سيفار

مروان

لقد اختلطت الأمورعلي بشدة منذ رحيل الأميرة , كانت حمايتها من ذاك الاختطاف هي السبب الوحيد لمجيئي الى هذا الزمن ... والآن هي عند ذاك الملك ربما يعذبها أو أنه قد قتلها وبعد لحظات سيأتينا الخبرو تحدث الفاجعة التي أخبرني اياها كيان

أما كيان فقصته الغريبة لا أفهم معناها الى الآن كيف يحوم بالقصر متظاهرا بعشق كارولين الأميرة الحسناء بينما أخبرني باعجابه الشديد لسيفارو أن كل ما يفعله يقوم به لانقاذ حياتها ورؤيتها تبتسم الى الأبد

كنت في الحديقة أداعب العشب بيداي المليئة بالخدوش لتتلمس الخدش بالخدش حاملة اياي الى عالم الهدوء كما كنت أفعل في طفولتي , رأيت عبير تدخل الساحة . أشرت لها كي تجلس معي ...كنت حائرا من حالتها الغريبة تلك "أين الشخصية الرهيبة والنظرة الحادة التي تجعل الصخر يخجل ويتفتت بحنان " , قلت :

- هل أنت بخير؟

- لا أظن ذلك , انني أشعربتوعك شديد منذ يومين ...أنا لم أمرض يوما فكيف سيحدث هذا الآن

- ربما السبب نفسي , أنت خائفة أليس كذلك ؟

- لا أظن أن السبب هو الخوف فأنا لم أخف من شيء وحتى الموت

صمتت لبرهة ثم أكملت :

- أعتقد أن السبب هو خذلاني لكيان , أنا لم أخذل أي شخص سابقا

- أنتِ لم تخذلي كيان . أنا من فعلت فما غاية ارساله لي الى هنا سوى لاتمام ما لم يفعله هو ذات مرة

- كيان يعلم بأنك لن تستطيع فعل ذلك , أنت لست سوى رسول منه لي كي أفعل ما لم يستطع القيام به . لكنني فشلت والفتاة البريئة قد اختطفت بسبب عدم تركيزي

تطلعت المكان حولي لدقائق ثم كسرت الهدوء قائلا :

- أين هو مجدُهان ؟ , منذ أن أتينا لم أره سوى مرتين

- أخبرني بأنه يحتاج بعض الوقت لمفرده بدا وكأن رؤية هذه الأشياء كلها في وقت واحد قد أصابته بشيء من الغربة

- ماذا عن سيف ؟

أشارت بعينيها للأمام وقالت :

- هاهو ذا يأتي.

جلس الأخير بجانبنا غير مكترث بأنه قد داس على الوردة التي حملتها عبيرمنذ مجيئها , رمقته بلؤم ثم قالت:

- ما سبب غضبك هذه المرة

- الطباخ !, لم يسمح لي ذاك الانسي بتناول الطعام بالمطبخ قائلا بأنني أدنس المكان بصفتي أسودا

قالت بعد شهقة مازحة :

- كيف يجرؤ على قول هذا

أدرك خداعها فضحك ثم أكمل :

- اعتقدت بأن معاملتنا كسود ستتغير هنا في مملكة سيفار, لكن...

صمت لبرهة ثم أكمل :

- هل مجدُهان يتبع فتاتا لتوه ؟

توجهت أنظارنا جميع نحو فتاة ذات شعر اسود ترتدي ملابس المطبخ البيضاء تقارب سن السابعة عشر يتبعها مجدُهان بشكل غريب وكأنه فهد يطارد فريسته ببطء كي ينقض عليها , لكنه توقف وارتبك عندما التفتت اليه الصبية ليحمر وجهه توترا وينطلق عائدا نحو داخل القصر فأكملت الفتاة في سيرها نحو مطبخ القصر

ضحك سيف بقوة شديدة ثم قال :

- لم أرى مغازلة أكثر اثارة من هذه

رددت عليه :

- الفتى مغروم يا جماعة وقد قضي عمره كله في غابة , كيف تريدون منه أن يغازل

ضحكات سيف لم تتوقف حتى بدأنا الضحك معه رغم تفاهة الموقف , تلك كانت المرة الأولى التي ضحكنا فيها من أعماقنا منذ بداية كل شيء

"أحيانا يجب علينا التمسك بالأشياء الصغيرة فرغم تفاهتها

قد تكون ذات قيمة عظيمة "

جلس مجدُهان في احدى زوايا القصر متشائما يخفي بين يديه وردة بيضاء كقلبه الصغير كانت محاولة منه محادثة تلك الفتاة التي جعلته لأول مرة يفكر في شيء آخر غير "النجاة ليوم آخر أو توفير الأكل للغد والا سيتضور جوعا " , نشأ حلم جديد بداخله " الصداقة"

جلس بجانبه مروان بعد تنهيدة طويلة , ثم قال :

- أتريد الاعتراف لها ؟

لم يقل مجدُهان شيئا سوى أنه اوما بخفة وأعاد راسه مكانه

- أخبرني بما حدث لك عند رؤيتك لها حرفا بحرف

- لقد شعرت بضربة هنا..

وأشار الى الجانب الأيسر لقلبه , أوما مروان فأكمل :

- وكل ما أردت فعله حينها هو التقدم نحو دون أي سبب , شيء كان يجذبني لكنني منعته ...

- ولما منعته ؟

- لا اعلم , قد اعتدت على العيش لوحدي وعدم مخالطة أحد منذ طفولتي فعائلتي السابقة كانوا متوحشين لم أستطع قول شيء لهم سوى لمخلص الذي كان حنونا قليلا رغم حدته معهم

ربت مروان على كتفه ثم قال :

- هنا ليست الغابة والأشخاص أنواع ليسوا جميعا مثل مخت... عائلتك السابقة , يمكنك الحديث مع أي شخص تريد والتعبيرعن مشاعرك بكل بساطة ..فكيف نكون بشرا دون مشاعر

- هل أستطيع أن أخبرها ؟

- بالتأكيد يارجل , وتلك المشاعر تدعى "اعجاب "

- أنا فقط أريد صديق ...لست و اقعا في حبها كما تظن أنت

- بالتأكيد لست كذلك,هيا اركض نحوها ولكن بهدوء ليس كالمرة السابقة...كن على غيرطبيعتك هذه المرة

دون اي كلمة انطلق الصبي بسرعة وخفة , وتوقف في احدى الأروقة عندما وجدها مع احدى الفتيات التي ترتدي لباسا مماثلا ...ابتسمت عند رؤيته ودعت صديقتها وسارت باتجاه المطبخ مجددا تاركة اياه متجمدا , لكنه صرخ بعد تردد :

- عذرا !

توقفت الفتاة ثم التفتت اليه في حيرة , قالت :

- هل تقصدني ؟

- نعم ..أود الحديث معك

- عما يا سيدي

سارنحوها بهدوء , ثم أكمل :

- أنا ..أن... أود أن أخبرك بشيء

- أنا أنصت اليك

- هل يمكنك أن تحضري لي بعض الأكل فأنا جائع جدا !

نظرت له باستغراب وفزع ثم قالت :

- حسنا , سوف أحضر لك بعض الحساء الى غرفتك أم...

- أم ماذا ؟

- يمكنك الذهاب معي وستناول معا الغذاء بالمطبخ , ان كان لديك وقت فراغ يا سيدي

- ذلك يناسبني بشدة

ابتسمت له بحنان و انطلقا معا في خطوات هادئة يدردشان , بينما ابتسم مروان اللذي كان يختبئ خلف باب غرفته منذ البداية . قال :

- لطيف ما فعلت يا كيان

القصر الأسود

" اهي عشيقته ؟ " " هل سيتزوجها بعد ياقوت ؟" " انها خادمته أرسلت من الملكة " ... العديد من التساؤلات تدوربين حوارات العمال والحرس حول المرأة التي كسرت شموخ الملك يامن للحظات وجعلته يمشي وراءها

وقف يامن على شرفة قصره يحتسي نبيذه العتيق يدفع عقله للتفكيرفي الهدنة فقط لا بنيران التي تبعد عنه بغرفتين فقط , تغيرت ملامحه لوهلة ثم نادى لخادمه المفضل " سليم " قال له :

- أين هي قمر؟ , أنا لم ألمحها طوال اليوم .أبخيرهي ؟

- هذا هو سبب قدومي اليك يا مولاي , اننا نحتاجك في أمرضروري يخصها

ذهب يامن بسرعة كبيرة نحو المكتبة حيث ابنته دائما هناك حتى أنه قد وضع سريرها بجانب احدى الزوايا فقد كانت تنام دائما على طاولات المكتبة من السهر اثر القراءة , وجدها تنام في فراشها وتغيب السعادة عن شفاهها المبيضة

حاولت النهوض لكنه قفزنحوها مهدئا , قال بعد أن تحسس شعرها بلطف :

- ما خطب أميرتي الصغيرة

رد عليه سليم :

- لقد كانت تلاعب الحمام قرب النافورة فسقطت فيها و ابتلت بشدة ...رغم محاولاتنا بتجفيفها سريعا لكن كما تعلم...الصغيرة سريعة المرض

قال الملك مخاطبا الصغيرة :

- كيف فررتي منهم هذه المرة أيتها الثعلب الصغير

- لقد وجدت معبرا صغيرا من مخابئك العديدة , الحجر السادس من السطر الثاني للجزء اليميني للباب الخلفي لغرفة المعدات

سعلت لوهلة بشدة ثم قالت :

- هل اكتشفت جميع مخابئك الآن أيها الثعلب الكبير

ضحك ثم بدأ باستذكار جميع المخارج والمخابئ السرية التي وجدتها , قال :

- لا يزال هنالك أربعة مخابئ , أنا موقن بأنك ستجدينها بسرعة فور شفائك

- أرجوا ذلك...

ثم غطت في نوم عميق عبر سحر الملك , لم يرد أن يراها في حالتها تلك

خرج من المكتبة بعد أن حذر الحكماء على صحتها والبقاء معها طوال الوقت , ثم انطلق نحو الساحة ليعتني بالحديقة . وجدها هناك "نيران" تتأمل في مجموعة الحمام الأبيض التي اعتادت قمر على اطعامها دائما

أخذ بيده حزمتين من الشعير ثم وقف بجانب نيران , وضع احداهما في كفها والأخرى فتحها وبدأ في رميها عشوائيا في جميع الاتجاهات . قال :

- لقد سمعت بأنك تزوجت , أليس خائفا عليك الآن

- انه من ذاك النوع الذي يترك زوجته على راحتها , ماذا عن زوجتك "ياقوت" ...أين هي أنا لم أراها منذ قدومي

صمت لبرهة ثم قال :

- لقد توفيت بمرض السل

صمتت لبرهة ثم قالت :

- آسفة...

ليغوصا في صمت عميق اختلطت فيه السلبية

- زوجي أيضا قد توفي ...مع ابني

التفت اليها في دهشة لم يعرف بما يرد فهو ليس لبق اللسان فبقي صامتا وتنهد تنهيدة أراد منها ايصال المعنى الذي بداخله , قالت :

- أتفكر أحيانا بالزمن وكيف أنه قد مرت10 سنوات منذ آخر مرة تحدثنا فيها

- هل مرت 10 سنوات بالفعل ؟

- لا تتذكر؟

- ولم سأتذكر؟ لم يكن حوارا بتلك الأهمية

لم يرد أن يخبرها بأنه يتذكر كل حرف ونظرة تناقلاها في الحوار الأخير, أردف :

- بعض الأشياء يستحسن منا أن ننساها رغم أننا...

- أدرك نهاية الجملة , بعد نهاية هذه الأحداث المأساوية ستكمل تلك الجملة .

ثم أكملت مداعبة :

- غصبا عنك اذا أردتُ ذلك حضرة الملك

نظر لها بعين تحدي باسما ثم بقي برفقتها طوال عصر ذلك اليوم

في اليوم التالي :

استيقظت قمر مسرورة وعقلها متحمس فكما بدا لها أن أدوية الحكماء قد أجدت بنفعها , مسحت شعر "الانسة رحمة " سمراء اللون ترتدي نفس الرداء الأبيض كل يوم مع تلك الحلقة ذات الشكل الدائري , على معصمها رسم وشم الكمال والمثالية معين مقطع الحدود تتوسطه دائرة " رمز مدينة قيصر أهل الريح"

الانسة رحمة تعتبر من أقدم سكان المدينة حيث لها ميزة الزمن البطيء التي ملكها جميع أهل مدينة قيصر يوما ما

نهضت بفزع عندما شعرت بتلك اللمسة الحنونة التي لم تعتد على تلقيها , انفرجت اساريرها وقبلت جبين الطفلة بحنان كبير وقالت :

- هل زالت حرارتك أخيرا , دعيني أرى

تحسست جبينها ثم تنهدت قائلة :

- حمدا لله أنت بخير الآن

- مالذي يحدث في الخارج لماذا أسمع عددا كبيرا من السيوف ...صريخ مبارزة..

قاطعتها قائلة :

- لا شيء , ماذا قلت لك بخصوص استخدام مزاياك

- آسفة آنسة

- والآن من التي ستقرأ كتاب أحضر اليوم خصيصا لها من والدها

أخرجت من جيبها الكبير كتابا ذو عنوان " حضارات لن تعود " ووضعته في كفها الصغير

- ماهو توقيتنا اليوم ؟

تلك لعبة بسيطة تعلمتها قمر حيث تتحداها رحمة بقراءة كتاب في توقيت معين واذا فازت ستكون لها هدية مختلفة عن الأخرى

نظرت لها بحزم :

- أربعة ساعات

- والهدية يا آنسة ؟ أستكون الخروج من القصر ولو لدقائق

- لا للأسف يا صغيرتي , خصوصا هذه الأيام القليلة

لمحت الحزن يملع في عينيها الصغيرتين فأردفت :

- لكن ..سأحاول مع والدك هاته المرة أنا متأكدة بأنه سيو افق على خروجك الأسبوع القادم

لتحتضنها بكل قوة فرحا

هاهي قمر تركض بين الأروقة تدق الأحجار أحيانا باحثة عن مخبأ من مخابئ والدها الكثيرة , توقفت فجأة ...واشتعل الحماس بداخلها عندما شعرت بفراغ يتلو احدى جدران الخزنة "الحجرة الحادية عشر السطر العشرون من الحائط الجانبي الأيمن " حملت كتابها وضغطت به بكل قوة فيديها الصغيرتين لن تتحمل الضغط , افتتحت جزء من البو ابة الذي أدى الى جزء آخر مظلم ..ارتعبت حواسها لوهلة لكنها تحدت خوفها ودخلت عبر الانفراج الذي لا يستطيع شخص يتجاوز طوله المتر الدخول منه

بدأت تتفحص الغرفة شيئا بشيء ...مشعلين يضيفان توهجا خفيفا ...رائحة الزئبق ..لم تكن ترى جيدا بالمكان لمست احدى الجدران لتقع يدها على بداية سلسلة حديدة خشنة صلدة ...

توسعت مقلتيها واصفر وجهها لدرجة أنها شعرت بتوعك الاغماء عندما رأت جسد تلك المرأة المغطاة بالسائل اللزج , اعتقدت بأنها شبح أو كائن سيختطفها

التفتت اليها الشابة بعين مفزوعة هي أيضا , لتقول ببطء :

- أنقذيني أرجوكِ

ركضت الفتاة عائدة الى النور باكية من شدة الخوف أعادت اغلاق المخبئ وبقيت و اقفة هناك مصدومة تحدث نفسها ..

لم تكن تعلم بأن ذلك المشهد كان أول مقابلة لها مع عمتها التي لطالما أرادت الثرثرة معها

مسرحية

بألبستهم الغريبة الشكل والبودرة التي يضعونها على وجوههم وقفوا على المسرح ست نساء ورجل يمثلون قصة الأمير الوحيد الذي يبحث عن الحب دائما لكن الأمر ينتهي به دائما محطم القلب الى أن يقابل " ياسمين "التي يتزوجها في النهاية ويموت في الصباح التالي مسرور القلب مرتاح الروح

الجمهور بأكمله صفق عند انتهاء المسرحية يتقدمهم يامن ونيران التي بقيت مصدومة مما رأت , رمقته بسخط وخرجت دون قول كلمة الى الملك صاحب المسرحية وأحداثها ,ضحك بسسخرية كان يعلم بأنها تحب النهايات السعيدة فقد كانت تقول له دائما

" ما فائدة القصص الخيالية لو أن نهايتها كانت و اقعية ,فنحن نهرب منه اليها"

جلست الأخيرة تعلو ملامحها الغضب الشديد والحزن العميق و سقطت دمعة منها دون أن تدرك فمسحتها بسرعة , قال يامن من ورائها :

- أنت حقا لم تتغيري على الاطلاق

- لقد فعلت هذا قصدا , لأنني أكره الحزن

- عزيزتي نحن بائسون ألا ترين أحوالنا أرامل في سن الشباب بحق السماء احدنا سيموت قريبا هذا مؤكد على الأغلب سيكون أنا والآخر سيبقى خادما حتى الموت , لذا مالعيب في اضفاء القليل من الحزن ليومنا الكئيب

صمتت لبرهة ثم انفجرت باكية , ارتبك هو للحظات ولم يعرف ماذا يفعل أمام دموعها المنهمرة

جلس بجانبها معتذرا فوقعت لحضنه باكية , ازداد ارتباكه واحس بارتعاش ساقيه خشية الوقوع في مصيدة قد وقع فيها سابقا

فنهض بسرعة متاسفا ولم يقابلها مرة أخرى ذاك اليوم

كارولين

شعرت بالأمل لوهلة عند رؤيتي لتلك الفتاة الصغيرة تحدق بي ...لكنها خافت مني وهربت تاركة اياي مسجونة

عادت الي في اليوم التالي , لم ينزع خوفها ولكنها تحدثت معي هامسة :

- هل أنت شبح ؟

- لا أنا أميرة ...أنقذيني أرجوك ,وساكافئ والديك بعشرات القطع النقدية

- أنا أيضا أميرة , لا أحتاج ذهبك ...في أي مدينة تحكمين

- أنا أميرة سيفار,أرجوك أنقذيني قبل أن يعلموا بوجودك

نظرت لي بصدمة , تقدمت ببطء :

- هل أنتِ ..كارولين ؟

- نعم انها أنا أقسم بذلك

- أنتِ عمتي !

لم أعلم بأنه أخي قد حظى بابنة أو تزوج على الاطلاق , قلت :

- أنت ابنة يامن !

- نعم , ابنته الوحيدة ...أنا لا أستطيع انقاذك وخيانة المملكة لكنني سأزورك كل يوم

- لا , لا ترحلي

تركتني الفتاة على حين غرة وتركتني لمرة اخرى وحيدة , أصبحت تأتيني كل يوم تجلس معي لدقائق قليلة ثم ترحل, حدثتني عن امراة جديدة يتحدث معها يامن كل يوم ...نيران بنت المحارب . آنست رفقة تلك الفتاة أنتظر الساعة العاشرة من كل يوم كي تأتيني ونتحاور ذاك الحوار القليل

إلى حين ذاك اليوم حيث دخل شخص آخر من مدخلها

- يامن !

- أهلا أختي الصغرى , يبدوا بأنك تعرفتي على قمر الآن

- لا تؤذيها أرجوك هي لم تفعل شيئا , هي وفية لك بشكل عظيم

- أنا لن أؤذي ابنتي , لست بتلك القسوة بعد كل شيء

صمت لبرهة ثم أكمل :

- أعتقد بأنني سأو افق على الهدنة

انفرجت اساريري فقلت بعد تنهيدة :

- أخيرا !, عدت الى صوابك

- ليس خشية من سيفار أو غيرها , أنا فقط أود السلام للعالم ...وربما لن يحدث ذلك السلام

لاحقا في نفس اليوم :

وقف امام بابها يردد ما يود قوله ، ليتحسس الخشب الصلد بحيرة .لكنه تشجع ودق الباب فرد عليه صوت من الداخل سامحا له بالدخول

قال مطاطا الرأس :

- أنا موافق على مطلب الملكة.. فلننهي هذه الحرب الطويلة ، لكنني احمل سؤال واحدا

- ماذا ؟

- هل ستبقين معي ، كرفيق لي في السلام والحرب ... انت تعلمين بانني السيء في هذه القصة ، واسبابي غير منطقية

-سأبقى

- لقد قتلت الآلاف وربما سأقتتل المزيد

- سأبقى

- سأكون عسيرا أحيانا وأحيانا سأكون أبرد من الصخر

- سأبقى

- ستربين ابنتي

-سأبقى

- اقترب نحوها في هدوء ثم أكمل ؛

- ستتزوجينني

وضعت جبينها على جبينه في سلام داخلي وصل اليهما أخيرا ، قالت :

-سأبقى!

أكملت وهي تشبك أصابعه بأصابعه :

-ألن تكمل حديثنا السابق ؟

ضحك بعفوية،ثم قال :

-أنت الشخص الذي أحببته وسأحبه الى حين انتزاع الروح من جسدي أتبادلينني الشعور

- نعم ..أحبك يا حض... أحبك يامن

- أعشقك يا نيران بنت المحارب

- لقد قلتها !

- لقد فعلت ...

الخبر انتشر في جميع مدن العالم , حرب العقد انتهت

ركض شاب في مقتبل العمر عبر أرجاء المدينة يقول صارخا :

- الحرب انتهت ...فلتعلم الانس بان الحرب الطويلة اكتملت والسلام قد أتى

في مدينة العبرج ركض شاب باكي آخر سعيدا يقول :

- فلتعد للسيوف أغمادها , فليرجع المحاربين لعائلاتهم حرب الام والابن انتهت يا كائنات

الجميع سعيد منفرج الأسارير العجائز والشيوخ يتمنون لو أنهم يعودوا لسن الشباب كي يقضوه في سلام مثل هذا , لكن ذلك لم يمنعهم من الرقص البطيء مع رفقاء الدرب . زغاريد النساء تعلوا وتعلوا مع انتشار الخبر الى ان اصبحت تصم الاذان لكثرتها

داخل قصر يامن :

ضغط الملك بقوة على حجر المخبئ ,ليفتح مخفيا من وراءه كارولين التي عادت الى حالتها وجمالها واختفى عنها الزئبق , ركضت الصغيرة قمر نحو عمتها في سعادة وعانقتها بقوة مانعة تساقط دموع السعادة

دخلت نيران مسرعة الغرفة تحتضن أميرتها , فقالت نيران :

- حضرة الأميرة , حمدا لله لرؤيتك بخير

- نحن أختان الآن زوجة الملك تضاهيني نسبا ..شكرا لك يا جالبة السلام

نظرت لأخيها لأول مرة منذ دخلت الغرفة , قالت مادة ذراعيها :

- أيمكنني ؟

- بالطبع يمكنك أيتها الغبية

فقفزت اليه بسرعة شديدة واحتضنته بأقوى ما لديها , قالت وهي ترتشف دموعها :

- لقد اشتقت اليك كثيرا يا أخي

- كل شيء سيكون بخير من الآن وصاعدا..

عادت الى الصغيرة مداعبة :

- من التي ستقابل جدتها اليوم ؟

رد عليها يامن :

- الأميرة لا تستطيع الخروج اليوم فصحتها لا تزال لم تسمح لها بخروج القصر بعد...لكن

نزل وقبل خدها بعد أن لاحظ الحزن في عينيها وقال :

- لكنها ستذهب الأسبوع القادم

لتضحك الصغيرة مجددا...

خرجوا من الغرفة جميعا يتداولون الأخبار تحت أنظار الخدم السعيدين برؤية ملكهم بتلك السعادة الشديدة التي لم يشهدوها من قبل..

مهرجان مليء بالألوان أقيم على شرف السلام ودخول يامن وبعض جنده مدينة "سيفار" , دخلوا عليهم بالفيلة والجمال المزينة بالأضواء الملونة التي علقت عليها لم يخفِ أهل المدينة انبهارهم باختلاف الملابس والابتكارات التي يحملها الجند معهم من آلات من الحديد ذات شكل مستطيل تحتوي زنادا ومعبئة بكرات نار" مسدس" و أسلحة غيرها

منع الجنود من الدخول للقصر رغم المعاهدة القائمة لم يثق حراس القصر بأمانة يامن ملك الخداع , دخلت عربة واحدة كبيرة تجرها خمس أحصنة خرج منها "الملك وزوجته , كارولين ثم مساعد الملك "سليم"

رفع "يامن" بشموخ عيناه ليرى البناء الذي أمضى داخله طفولته شعر بالتوتر الكبير, لاحظت نيران ذلك فضمت يداه بقوة ليجد عبرها السبيل لينفض قليلا الارتياب الذي اعترى قلبه .

تنهد تنهيدة طويلة ثم دخل القصر الذي كان هادئا بعض الشيء عن المدينة.
والشعوب المهللة
وصلو الى بو ابة القاعة الخشبية ،لتفتتح أمامهم ببطء فظهرت سيفار متربعة على عرشها ،دلفوا بهدوء ، قلب يامن كان يقشعر خشية من هذا اللقاء الذي انتظره منذ سنوات بقيا يحدقان ببعضهما البعض يعبران بصمت

لتكسر كارولين ذلك الصمت بركضها بسرعة نحو والدتها وتحتضنها بحب , لكن سيفار كانت غريبة في تلك اللحظات لم ترد بأي تعبير ولو بسيطا . احكمت القبضة على كتف ابنتها وعبرت و اياها الى المخرج الجانبي في مشهد أثار ريبة الحاضرين

اغلقت الباب وخرج من الأسترة اثنتا عشرة شخصا ملثمين بالأسود بمن فيهم " سيف ،عبير، مجدهان " اما كيان فلم يكن هناك , البقية محاربين اشتهروا بحدتهم وقوتهم في الحروب

توسعت اعين القادمين في فزع ، خاصة يامن الذي قال في صدمة :

-نيران !

-أقسم أنني لم أعلم هذا

أكملت حديثها صارخة نحو الملكة عسى أن تسمعها ؛

-مولاتي نحن لم نتفق على هذا ..أرجوك

أغلق عينيه ثم ترك يديها بخيبة أمل ، قال :

-لقد وثقت بك مجددا !

-لا, لا تفعل هذا أرجوك

تقدم ببطء مع خطوات الملثمين , قال:

- اذا ماذا لدينا هنا

بدأت أطراف يامن تشتعل الواحدة تلو الأخرى واصبح كائنا ضخما كسر سقف القاعة الذي سقط على احد المحاربين وأرداه جثة هامدة أما الآخرين فبدأوا

بالهجوم بصرامة وحزم شديدين

لقد كان ضخما " كائن السخط القديم " ذو جلد أسود متصخر تتخلل بين ثناياه شعلات بركانية تلمع, لكن رغم تلك القوة كانت له نقطة ضعف واحدة وهي عينه اليمنى الزجاجية فاذا حطمتها سيموت الكائن فورا

الجميع استهدف تلك المنطقة والملك أدرك ذلك فأصبح يضربهم بيده الضخمة بينما يحطم ما رأى من القصر بيده الأخرى

اومات عبير نحو مجدهان بثقة فركضت بكل قوة ثم قفزت نحو عين الملك ، لم يستطع الكائن ضربها فمجدُهان كان قد قفز أيضا برشاقة من خلفه وتسلق شعره ليكسر العين الزجاجية بكل برود ويسقط مع تلاشي المخلوق

تسلل دخان أسود اللون أرجاء القصر

صرخ احد المحاربين حاملا قارورة زجاجية صغيرة بكفه :

-انه الضباب المميت استخدموا الترياق الآن

البعض استطاع شرب الترياق لكن ثلاثة منهم لم يكونوا بالسرعة الكافية فقضى عليهم الضباب مخترقا أنوفهم ففجر رؤووسهم بسرعة شديدة

اسرعو باحثين عنه قبل أن ينفذ الترياق منهم فلا تزيد مدة فعاليته عن الدقيقتين ، الضباب شديد لكن أحد المحاربين لاحظ لمعانا يأتي من اليمين

ابتسم بتحدي وركض بسرعة شديدة نحوه ليجد كائنا ذو شعر لا يتوقف عن الحركة " بوكا[3]"

اختنقه برداءه الطويل " فازرق جسده للحظات ،لكنه سقط سريعا بعد أن قتله المحارب الأول ...

---

[3] بوكا : كائن يسكن جبال الغرب مشعر الجسد لامع العينين يستطيع التلاعب بالعقل واطلاق غاز مميت

استعاد المحارب انفاسه بصعوبة ورفع رأسه بعد سكون الأصوات فجأة

وجد نفسه في غابة شاسعة لا نهاية لأشجارها ولا حدود تتضح من البعيد انه كما يسمى " أب الخداع " سحر عقولهم جميعا ليحبسهم مع أكثر ما يرهبونه صرخ الرجل مذعورا وتسمر متجمدا عند رؤيته لنصف جسد حصان .. نفس الحصان الذي قابله في طفولته وجعله مريضا لأيام من شدة الرعب
لم يتحرك على الاطلاق ،بقي مصدوما ليركله الحصان على صدره بقوة ليتوقف قلبه ويقع في العالم الو اقعي ميتا

مجدُهان كان قد تعرف على الكائن الذي سيقابله " النسناس " اكثر ما خاف منه طوال حياته
قال :
-بحق السماء ، هل أنت تمزح معي!
وبدأ الركض سريعا دون وجهة فقط يتحرك نحو الأمام كي يخطط لما يفعله ،لكنه وجده أمامه فجأة يبتسم له بنصف فك
تسلق مجدُهان الشجرة المقابلة برشاقة، وصل للقمة وألاح بنظه للأسفل حيث يقع النسنساس ,أحكم القبضة على خنجره ثم رمى نفسه للفراغ ليحط بخنجره مخترق رأس المخلوق

عبير ، وقفت في هدوء محافظة على رباطة جأشها قالت :
-هذا مجرد حلم ، لقد حلمت به لمرات عديدة ثم استيقظت . سأستيقظ قريبا

لكنها بدأت بسماع الأصوات تقترب نحوها أنفاس شخص يركض بسرعة ،هرعت تردد قائلة :

-انه مجرد انسان ،انه مجرد انسان بسيط يحمل سيفا بطول ذراعي

استدارت فوجدته يركض من وراءها بوجهه الخالي من الملامح ، وعاري لا يحمل جسده أي عضو.. كأنه دمية متحركة . مما زاد خوف عبيرلتتساقط دموعها من شدة الذعر

لم تتمكن من اكمال الركض اكثرمن ذلك فقد كان ذو سرعة خيالية ،توقفت فأحكمت القبضة على السيف والتفتت نحوه في ثبات وتسمرت هناك موجهة سيفها نحوه ومغلقة العينين

"حافظي على أنفاسك ، كل ما يحدث هنا هو خيال "

فتحت عيناها لتبصره أمامها ، لا يفعل شيئا سوى تحريك رأسه بشكل غريب

أولجت سيفها في جسده المطاطي قبل أن يفعل هو ككل مرة

عاد الاثنان الى الو اقع مع محارب واحد قد بقي حيا مع انه مصدوم ولم يقم بأي فعل سوى أنه ذهب الى الركن وجلس هناك مرتعش الساقين , أما سيف فبقي يحارب تلك الحية

قالت عبير :

-أين بحق السماء هي سيفار؟

في غرفة خارج القصر :

جلست سيفار مع ابنتها على سرير واحد تجدل شعرها بلطف ، وتسرد عليها كارولين ما حدث معها في الأيام السابقة وعن حفيدتها التي تتوق شوقا لرؤيتها عن قريب

لكن كل ما يجول في بالها ،هو" مقتل ابنها و انتهاء هذه الحرب نهائيا

بينما يقف مروان بجانب البو ابة يحدق فيهما بذهول "

قتل الكائن ، وأصبح يامن يحاربهم بجسده الطبيعي بكل ما تبقى من سحر، عبير ومجدُهان هم كل ما تبقى من أمل للقضاء عليه

ليعود سيف من الهلوسة بعد ثواني ، ويقاتل معهم بكل ما اوتي من قوة

لدقائق يهاجمون عليه حتى استطاعوا القضاء عليه

اردته عبير أرضا ، فبقي ينظر لها بكل غضب ويتنفس بصعوبة رأى مساعده تحت الأنقاض لا يستطيع النهوض ...ليفعل تعويذة ثم قال بصوت قوي :

" قمر الآن "

انبثقت الفتاة ذات الثمان سنوات من العدم وسط ذهول الجميع , وضربت بخنجرها بطن عبير ليخترقه بسرعة شديدة

أمسكت بيد والدها واختفوا مع بعضهما البعض وكل ما حدث كان في ثواني

صرخ الجميع بقوة ولا سيما سيف ، حمل جسدها النحيل وركض الى الحكماء يتبعه مجدُهان مصدوما

كانت تبتسم بشكل غريب وتتحدث بكلمات لم يستطع أحد سماعها يتساقط شعرها القصير على ذراعيه المليئتين بدماءها

وضعها على سرير الغرفة ذو الشراشف البيضاء التي لم تطل حتى أصبحت قرمزية من غزارة النزيف

قصر يامن

داخل غرفة محكمة لا يستطيع أحد أن يسمع ما يدور خلالها كان يامن يحاول شفاء جروح سليم الكثيرة بما أخذه من أوراق شجرة الحياة ، قال سليم :

- مولاي .. دخول قمر عليها لم يكن الخيار الصائب

- كانت ستعلم عاجلا أم آجلا

- أنا آسف مولاي لم أكن في وعيي لأنقذك

- هل انقذت نفسك أولا كي تنقذني أنا .. كما تعلم لا أحتاج لانقاذ .. قبل اليوم ابتسم يامن بحزن عندما لمح ضحكة تخرج من شفاه سليم المزرقة

- أرجوك احمي قمر من تلك المرأة

- أعدك سأفعل...

انهمرت الدماء من فمه وبقي مفتوح العين ميتا...سقطت دموع الملك المتألم وأغلق عين مساعده ورفيقه مودعا اياه

بعد 8 ساعات :

فتحت عبير عيناها ببطء لترى الجميع و اقفا أمامها متطلعين " سيف ..مجدُهان ..." أعز الأشخاص على قلبها و أكثرهم وفاءا ينقصهم كيان الذي لم يكن هناك ..

اشارت لسيف كي يجلس بجانبها ،ثم قالت :

- أرايت ما حدث ؟

- نعم , للأسف لم نستطع انهاء الأمر لكنني أعدك أنني سأقتلع رأس ذلك الرجل وتلك الفتاة التي معه

ابتسمت بحنان ، ثم أردفت :

- لا أحبذ أن تفعل ذلك بالفتاة

- ماذا ! .. ما قصدك

- انها شخص قريب لي..لنا

- من يمتلك القدرة على السفر عبر المكان بتلك السرعة

- الغربيون ..بعض الطيور المنقرضة ..والس.

صمت لبرهة ثم توسعت مقلتاه :

-لا !

- ابنتنا حية يا سيف

يتبع...

وقف يامن على شرفة قصره مدمرا غاضبا ، وقلبه قد اصبح رمادا هاته المرة لم يكن لديه شيء ليخسره ، ابنته بجانبه والحياة التي ارادها لها لن تحصل والقوة التي كان سيورثها اياها قد زالت

رفع يديه موجها اياها نحو مملكة سيفارومدنها جميعا وبدأ في نطق أقوى تعاويذ التدمير و أكثرهم ظلاما ..لكن على حين غره

رياح عاتية انطلقت في ارجاء الأرض لدرجة أنها اسقطته وقمر أرضا !

احتضنها باحكام خوفا أن تسحب الرياح جسدها الهزيل

استمرت الرياح لدقائق حتى توقفت رويدا رويدا ، ورفع عيناه نحو الجنوب ..حيث مصدر الرياح العظيمة تشكلت هناك زوبعة رملية مرعبة , توسعت حدقتا عينانه في هلع :

- قمر ما هو اليوم!

- اليوم السادس من شهر مايو

- لقد انقضت المائة سنة !

- أتقصد أهل قيصر ! ،لم تمر 100 سنة اننا في السنة 1032 وأهل قيصر تم نفيهم سنة 1132 ...يا الهي

- ماذا فعلت بنا

"سيفار"

نهاية الجزء الأول